ذخائر المغرب العربي

محمد بن سحنون

كتاب آداب المعلمين

تقديم وتحقيق مقارن
الدكتور محمود عبد المولى



محمد بن سحنون

كتاب آداب المعلمين

تقديم وتحقيق مقارن
الدكتور محمود عبد المولى

الطبعة الثانية



الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

مركب الطباعة بالرغاية ـــ الجزائر .

1981

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

حاضر ومستقبـــل التربية الاسلاميـــة :

إن موضوع التعليم وطرائقه ، موضوع هـــام جدا في جميع عصور التاريخ وعند كل الامم ، وقد كان موضع عناية خاصة من طرف العلماء والباحثين والفلاسفة ... فكتبوا فيه الكتب وألفوا فيه البحوث ، وما يزال موضع اهتمام المفكرين اليوم وغدا

ولم يتخلف العرب والمسلمون عن غيرهم في هذا الميدان مـــن البحث : فقد ألفوا في التربية والتعليم كتبا وبحوثا عديدة وهامة منذ عهد مبكر ، واهتموا بدراسة أحوال المعلمين والمتعلمين ، وخاصـــة طرائق تربية الأطفـــال وتعليمهم والبحث عن أنجح المناهج في ذلك . والعمل الذي نقدمه اليوم إلى القراء ، يدل على أن شأن المغاربة لم يكن أقل من شأن المشارقة في الاهتمام بهـــذا الموضوع : إن أقدم كتب التربية ــ فيما نعلم ــ[1] هو كتاب « آداب المعلمين » مما دوّنـــه الإمام المربي محمد بن سحنون (٢٠٢هـ ــ ٢٥٦ هـ) عن أبيه سحنون بن سعيد بن حبيب بن ربيعة التنوخي (١٦٠ هـ ٢٤٠ هـ) الفقيه المشهور صاحب المدونة التي عليها الاعتماد في المذهب المالكي .

إذن لا نزاع في أن العرب والمسلمين في المشرق والمغرب « قد بلغوا في القرون الاولى الإسلامية ، درجة عظيمة من الحضارة ، انتشرت من أقصى الشرق إلى

---

(١) انظر : اطروحة الدكتور محمد أسعد طلس : « التربيـــة والتعـــليم في الاسلام » . بيروت ، دار العلم للمـــلايين ، ط : ١٩٥٧ ــ وخـــاصة : كتب التربية والتعليم عند العرب والمسلمين ــ ص : ١٨٢ ــ ٢٠٤ .

أقصى الغرب . ولا حضارة بغير علم ، ولا علم بغير تعليم ، ولا تعليم بغير نظام معيّن يرتب الصلة بين المعلمين والتلاميذ ، ويفصّل المناهج وطرق التربية ، وسائر ما يتصل بالتعليم من أدوات .

وقد انتهت الحضارة الاسلامية ، التي كانت مزدهرة ومتفوقة على الحضارة الاوروبية ، إلى الضعف والانحلال ، وعم الجهل وانتشرت الامية ، وأصبح الشرق ، في موقفه اليوم ، أشبه بأوروبا في العصر الوسيط حين كانت تعتمد على العلوم عند العرب ... »[٢] . ولكن العالم العربي والاسلامي أخذ شيئاً فشيئاً ينتبه ، منذ أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، ويحاول أن ينهض لإحياء تراثه المجيد، وليشارك في بناء المعرفة الإنسانية .

ويحق لنا أن نتساءل عن قيمة كتب التربية الاسلامية القديمة بالنسبة إلى عالم اليوم ، وخاصة التربية الحديثة : (تصورات التربية عند جون ديوي وغيره ....) ، التي تعارض النظم التقليدية في التربية والتعليم، تلك التي تجعل المتعلم مجرد آلة تستقبل المعلومات وتحفظها ، دون أن يكون للمتعلم نشاط أو فعالية شخصية . فعلى العكس من ذلك ، تنادي التربية الحديثة والمعاصرة ، بأن يكون التلميذ أو الطالب « فاعلا » ، أي هو الذي يعلّم نفسه بنفسه ، وليس موقف المعلم منه ، إلاّ موقف الهادي والمرشد ، وتحاول التربية المعاصرة اليوم ، في الدول المتقدمة ، وفي بعض البلدان النامية ، أن تكون ديمقراطية حرة وخلاقة . فهذه التصورات الجديدة تعتبر أن التربية إذن فعالية إنتاج ، لا فعالية استهلاك ، والغاية الأساسية منها ، هي ، تكوين المواطن المبدع الخلاق لا المواطن المقلد .

فالاسلام ، في عصوره المزدهرة ، كان يعتبر التربية جهازاً اجتماعياً يعبّر عن فلسفة خاصة من جهة ، ويعمل جاهداً على ما من شأنه أن يحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى . لذلك « فطِن النبي ـ عليه السلام ـ منذ أول ظهور الاسلام

---

(٢) انظر : رسالة الدكتور احمد فؤاد الاهواني التي نال بها درجة الدكتوراه وموضوعها : التربية في الاسلام او التعليم في راي القابسي . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ ، ص ٧٠ .

إلى أهمية التربية فوجّه النظر اليها ، وأمر بتعليم القراءة والكتابة ، ولم يكد القرن الثاني الهجري يطلع ، حتى كان ثمة جهاز تربوي متغلغل في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي ، ابتداء من الكتاتيب التي تعلم الاطفال والصبيان ، إلى المدارس العليا التي تعلم الكبار . وقد ازدهرت الحضارة الاسلامية بسبب دقة هذا النظام وانتشاره . فكانت تلك التربية محققة لروح الاسلام »[3] .

فهل التربية الجارية في الوقت الحاضر ، في الوطن العربي والإسلامي ، معبرة عن الاسلام ومحققة له ؟ بحيث يتخرج التلميذ أو الطالب من مدارسنا أو كلياتنا اليوم سويّ التربية والسلوك ؟ أو إن النظم الحديثة تتناقض وتتنافى مع روح التربية الاسلامية ؟ وهل يمكن لنا أن نربط حبل التاريخ الذي انقطع بنا طوال عصور الظلام والانحطاط ـ فنوفق بين التراث التربوي الإسلامي ، وبين التربية الحديثة ؟ إذا كان ذلك ممكناً ، فعلى أي أساس يكون ؟

كل هذه الأسئلة ، حاول الإجابة عنها باحثون جادّون [4] وذلك بالرجوع إلى تاريخ التربية الإسلامية ، وإبراز الاساليب الناجحة التي اتبعت قديماً ، ثم محاولة تطبيقها اليوم أو محاولة تعديلها بما يتفق مع نمو الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية ، وربطها بالحركات العلمية والفكرية في العالم ـ في عصر الذرة ، واكتشاف الفضاء ...

نحن في حاجة إذن إلى دراسة القديم والجديد معاً بوعي علمي ، لأننا لا نستطيع أن نقطع الصلة بالماضي ، ولأننا في حاجة إلى تعليم ابنائنا اليوم اللغة العربية والقرآن الكريم والتربية الاسلامية ، بطرائق سليمة ناجعة . لذلك لا بد أن نعرف كيف كان السلف الصالح ، منذ أكثر من ألف عام ، يقوم بأعباء التربية والتعليم ، فقد يفيدنا في موقفنا الحاضر ، ويعيننا على حل مشاكل تعليم

---

(٣) نفس المرجع السابق ـ طبعة دار المعارف، بمصر ١٩٥٨ ، ص(٨)

(٤) انظر مثلا : رسالة الدكتور اسعد طلس ، ورسالة الدكتور الاهواني انظر ايضا رسالتنا لنيل الدكتوراه : الجامعة الزيتونية والمجتمع التونسي (بالفرنسية) ـ تونس ـ ١٩٧١ . وتاريخ التربية الاسلامية للدكتور احمد شلبي ، دار الكشاف ـ بيروت ، ١٩٥٤ .

الاطفال اليوم ، الكتابة والقراءة والآداب بطرق سليمة وهي مشاكل ما تزال معروضة في بلادنا ، وتشغل تفكير رجال السياسة والتربية والفكر على السواء.

إن العمل الذي نقدمه ويتعلق بإحياء أقدم كتاب في التعليم هو ضمن الجهود التي تكرس لإحياء وتنمية التربية القومية والاخلاقية في بلادنا ، وهو جهد متواضع نرجو له أن يكون مساهمة تفي بالغرض .

باب سويقه ـ تونس

في 1969/10/15

مدخل منهجي



إشارات ورموز

(....) = ما بين حاصرتين (معقفين) مقترح من المحقق ، للشرح أو لاستقامة الجمل .

(..-..أ)= أول الورقة « وجه » .

(....-..ب) = أول الورقة « ظهر » .

ج = جزء .

ط = طبعة .

ص= صفحة .

مخ = النسخة الخطية الاولى لكتاب آداب المعلمين ، تأليف محمد بن سحنون محفوظة تحت رقم ٨٫٧٨٧ بدار الكتب الوطنية بتونس .

تع = النسخة المطبوعة لنفس الكتاب أعلاه ، تحقيق وتقديم الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب الذي نشره سنة ١٣٤٨ ﻫ. ١٩٣١ م. تونس ، (مطبعة العرب) .

خ = النسخة الخطية الثانية لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون ، محفوظة تحت رقم : ٨٥/ق بالخزانة العامة بالرباط (المغرب الاقصى) .

كيف عثرنا على المخطوطة = مخ ؟

من المؤسف أنه وصل إلى علمنا وتأكد لنا أن هناك بدار الكتب الوطنية بتونس - آلاف المخطوطات العربية بعضها نفيس جداً ، وهي تنتظر من يبرزها

ويزيل عنها الغبار (من الباحثين المتعطشين إلى لقائها) . فمتى يتم التبويب والتنظيم ؟ حتى تكون هذه الآثار القلمية في متناول أيدي الباحثين لينصرفوا إلى تحقيقها ودراستها وإحيائها إحياء علمياً ، يثري نهضتنا ويغذيها برحيق تراث أمجادنا الخالدة ؟

تتعلل الإدارة ، دوماً ، بعدم الانتهاء من فهرسة هذه الآثار . وباحثونا – وما أقلهم في بلادنا – ينتظرون بفارغ صبر انتهاء أشغال الضبط والترتيب والفهرسة ... وقد تحوّل هذا الانتظار الطويل – عند بعضهم – إلى مرارة ، فيئس من لقاء الموجود الممنوع ، وحل محل اللذة ، لذة الدراسة والبحث ، حرمان وشعور عميق بعدم الرضى ، وفي بعض الاحيان ألم وسخط ...

لقد نالنا ، نحن أيضاً ، نصيب « محترم » من هذه التعاسات والاتعاب المضنية ، وأهدرنا في الانتظار ، سنة غالية من العمر للوصول إلى أخذ صورة ميكرو فلمية ا « كتاب آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون ، وهو من أنفس المخطوطات وأندرها في مادة التعليم والتربية في الاسلام .

ولولا خدمات صديقنا وتلميذنا عبد الحفيظ منصور [1] الذي سلّمنا الرقم القديم الذي حفظ به المخطوط المذكور ، في مكتبة الصادقية ... لبقينا – حتى اليوم – جادّين في البحث عنه . فله – منّا – جزيل الشكر والتقدير ، إذ مكّننا من « كلمة السر » . كما نقدّر ، حق التقدير ، خدمات الاستاذ حسين ماجول الذي سهّل ، علينا ، مهمة تصوير المخطوط بالميكروفلم .

وصف المخطوطتين : (مخ) و (خ)

ا – النسخة الخطية الاولى – مخ :

بعد المقارنة بين الاوصاف ، ثبت لدينا ثبوتاً قطعياً ، أن النسخة الخطية

(١) سبق لهذا البحّاثة الشاب ان قام بخدمات واعمال علمية مختلفة تتعلق خاصة بجمع واحصاء وتبويب الآثار القلمية الموجودة في المكتبة العبدلية وغيرها وله تاليف منشور ، لهذا الغرض، عنوانه: فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس . (خزانة جامع الزيتونة) دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٩ .

الاولى « لكتاب آداب المعلمين » التي اعتمدناها أساساً في عملية التحقيق ، هي نفسها التي حققها ونشرها ، لأول مرة ، الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، في تونس سنة ١٣٤٨ هـ. (مطبعة العرب) ، وقد نفدت طبعتها منذ زمن طويل . فهذه النسخة كانت الوحيدة التي اعتمدها المرحوم حسن حسني عبد الوهـــاب كأصل في تحقيق « كتاب آداب المعلمين » ، وقد جـــاءت في مجموع خطيّ محفوظ بمكتبة العلاّمة المحقق بلحسن النجار مفتي الديار التونسية سابقاً ،وصديق المحقق . ويؤكد الاستاذ ح. ح. عبد الوهاب : أنه لم يصل إلى علمه -بعد البحث الحثيث - أن هناك نسخة ثانية في البلاد الافريقية ولا في غيرها .[٢]

والجدير بالذكر أن النسخة الخطية المذكورة آنفاً ، بعد أن كانت محفوظة بمكتبة الشيخ النجار الخاصة انتقلت إلى المكتبة الصادقية التابعة لجامعة الزيتونة وحُفظت تحت رقم ١,٠٤٠ وهي خامس قطعة ضمن مجموع تبدأ من الورقة ١١٢ وتنتهي بالورقة ١١٨ .

ولما قررت كتابة الدولة للشؤون الثقافية ،سنة ١٩٦٨ ،نقل مخطوطات العبدلية والصادقية والمكتبات الاخرى إلى دار الكتب الوطنية - حفظاً للتراث - نقل « كتاب آداب المعلمين » معهـــا وحُفظ تحت رقم ٨,٧٨٧ - يحتوي المجموع المذكور على عدة كتب فقهية وغير فقهية منها : « درة الغوّاص في محـــاضرة الخواص » تأليف الإمام ابن فرحون المالكي ، ثم ورقات من مـــتن الصحاح للجوهري ثم « كتاب آداب المعلمين » هذا، ثم الزجاجة البلورية شرح القصيدة الخيرية لابن الفارض من وضع زين العابدين محمد بن العمري الشافعي .

تحتوي مخطوطة « كتاب آداب المعلمين » على :

- عدد الاوراق التي بها نص : ٦ ، مقاسها : ١٩,٥×١٤
- عدد الأسطر في كل صفحة : ٢٩ في الغالب .
- الخط : خط تونسي ، دقيق وجميل ، متشابك الحـــروف ، صعب القراءة ،

---

(٢) انظر : مقدمة المرحوم ح.ح. عبد الوهاب لكتاب آداب المعلمين - تح. ص : ١٦ .

وهو يختلف عن الخطوط الاخرى ، في المجموع . كتبت العناوين بشكل بارز وبحبر أحمر .

ـ اسم المؤلف : ذكر في أول وفي آخر المخطوط : محمد بن سحنون .

ـ اسم الناسخ : ذكر في آخر المخطوط : محمد بن محمد بن احمد البري المرادي .

ـ تاريخ الانتهاء من النسخ : على الراجح، حوالي نهاية القرن الثامن الهجري[٣].

ـ حالة المخطوطة : حسنة لولا قدم الورق ... وهو محفوظ في المجموع ومستتر بغلاف سميك من جلد أسمر .

ـ محتوى نصوص المخطوطة : الخطوط الكبرى للتربية في الاسلام .

ب ـ النسخة الخطية الثانية ـ خ :

وبالاضافة إلى النسخة الاولى ـ التي اعتمدها الاستاذ ح. ح. عبد الوهاب لعلمه أن لا نسخة ثانية « في البلاد الإفريقية ولا في غيرها » بعد البحث الحثيث ـ وفقنا إلى ما لم يوفق له الاستاذ ح. ح. عبد الوهاب حيث تحصلنا على صورة ميكروفيلمية لنسخة ثانية لـ « كتاب آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون : هذه النسخة التي نرمز لها بالحرف (خ) كان قد جلبها لنا زميل جزائري من الخزانة العامة بالرباط ، وهي محفوظة تحت رقم (٨٥/ق) وتجدر الاشارة إلى أن النسخة الخطية الثانية قد ملئت بالتحريف ، وفيها من المحو والبياضات، الكثير. ولذلك من الاجدر أن نعتمد ـ في دراستنا التحقيقية المقارنة ـ على النسخة الاولى لأنها أكمل ، بينا نجد الثانية (نسخة الرباط) إلى جانب للبياضات والمحو والاخطاء فهي ناقصة ، إذ تحتوي على أربعة أخماس نص الرسالة كلها .

لهذه الاسباب، سوف لا نثقل النص والهوامش بكثرة المقارنات بين النسختين (مخ ، تح) إلا للضرورة . كما أننا سنقارن ـ كلما دعت الحاجة إلى ذلك ـ بين

(٣) من طرة وفيها تعليق : « على ما ينبغي للمعلم أن يخلي الصبيان فيه » حسب رأي الامام ابن عرفة ، وهي موجودة بالمخطوطة استنتج الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، أن تاريخ الانتهاء من النسخ هو حوالي القرن الثامن الهجري ، لأن الناسخ ـ صاحب الملاحظة في الطرة ـ هو تلميذ الشيخ ابن عرفة وبالتالي فهو معاصر له .

نص النسخة الخطية الاولى (مخ) التي اعتمدها المرحوم ح. ح. عبد الوهاب ، وبين النص المطبوع (تح) . ولا بد من الاشارة أيضاً إلى أن الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، كان قد نشر رسالة الحسن القابسي ، (في التربية والتعليم) ، وألحقها برسالة محمد بن سحنون ، دون أن يدخل أي تغيير على النص المطبوع (مطبعة العرب ـ تونس ١٣٤٨ هـ. ـ ١٩٣١ م.) ، فجاءت الرسالة تحمل نفس النواقص والاخطاء الموجودة بالمطبوعة التونسية ، هذا إذا استثنينا طبعاً ـ تعليقات ثلاثاً لا تستحق الاهتام .

أسباب إعادة التحقيق والنشر :

١ ـ نلاحظ ، بادىء ذي بدء ، أن دراستنا النقدية هذه حول « كتاب آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون ليست ، من وجوه عديدة ، تكراراً للعمل الذي قام به قبلنا الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب . فلنا طريقة خاصة ، وأسلوب خاص ، اتبعناهما لإنجاز هذا العمل العلمي .

٢ ـ يعتبر تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، على أهميته ناقصاً من وجوه كثيرة ، وقد أشرنا إلى ذلك في الملاحظات الهامشية ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

٣ ـ لقد تساهل الاستاذ كثيراً في احترام طرائق البحث العلمي (خاصة في كتابته المقدمة) ، لأنه أهمل الاشارة ، أحياناً كثيرة إلى المراجع والمصادر وإحالة القارىء عليها ، حسب الاصول العلمية والمنهجية المعمول بها اليوم .

٤ ـ بعد إعادة التحقيق في المخطوطة ، مع مقارنتها بالمطبوعة اتضح لنا ـ بعد التحري والاستقصاء ـ أن الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب، إما أنه لم يتمكن ـ لأسباب نجهلها ـ من القيام بالتحري الكامل في عمليتي النسخ والتحقيق للمخطوطة المذكورة، وإما أنه أوكل التحقيق ، أو النسخ، على الاقل، إلى شخص آخر .

من الاسباب التي دفعتنا إلى إعادة التحقيق وتكملة العمل الذي بدأه قبلنا الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب هو وجود كلمات وجمل كثيرة مقحمة في النص دون إشارة إلى ذلك ، كما أن هناك أخرى موجودة في المخطوطة وغير موجودة في المطبوعة . ويمكن إحصاء أهم المفارقات في البابين التاليين:

أ) أهم الكلمات المقحمة في النسخة المطبوعة بالنسبة لمخطوطة « كتاب آداب المعلمين » (مخ) :

- محمد - ص : ٣٨	بالنسبة ا (١ - ب)
- المسلم - ص : ٤٦	بالنسبة ا (٢ - ب)
- الحدّ - ص ٤٦	بالنسبة ا (٢ - ب)
- عدّا - ص ٤٦	بالنسبة ا (٢ - ب)
- سُحنون - ص : ٥٣	بالنسبة ا (٤ - ب)
- ما جاء في إجازة المعلم ومتى تجب ص : ٥٧	بالنسبة ا (٥ - أ)
- محمد - ص : ٥٧	بالنسبة ا (٥ - أ)
- له - ص : ٦٠	» (٥ - ب)
- ما جاء في إجازة المصحف وكتب الفقه وما شابهها ص : ٦٠	» (٥ - ب)
- ابن - ص : ٦١	» (٦ - أ)
- له - ص : ٦٤	» (٦ - ب)

ب) - أهم الكلمات أو الجمل الساقطة من النسخة المطبوعة والموجودة بالنسخة الخطية : (مخ) :

ـ وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم . ص ٣٨ بالنسبة ل . (١ ـ ب) .

ـ تأليف محمد بن سحنون رضي الله عنه . ص . ٣٨ ل : = » .

ـ الرجل زوجته ستّ درر فما زاد يضرب به يوم القيامة . وأدب الإماء في غير الحدود . ص : ٤٦ = (٢ ـ ب)

ـ ولا يحلّ أن يأمر أحداً أن يعلّم أحداً منهم إلا أن يكون في ذلك منفعة للصبي . ص : ٤٩ = (٤ ـ ب)

ـ عليه . ص : ٥٢ بالنسبة ل : (٤ ـ أ)

ـ تعالى . ص : ٥٣ » : (٤ ـ ب)

ـ هم تعبدّهم ص : ٥٤ » »

ـ ولا يمس المُصحف إلا على وضوء ص : ٥٤ » »

ـ قد . ص : ٥٦ بالنسبة ل : (٥ ـ أ)

ـ قال » » : »

ـ معلومة ص : ٦١ » : (٦ ـ أ)

ـ قال ـ ص: ٦٢ » : (٦ ـ أ)

ـ منه ـ » : ٦٢ » : »

ـ الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيّدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم . ص : ٦٤ بالنسبة ل : (٦ ـ ب)

ملاحظات حول طريقتنا في التحقيق والمقارنة :

١ ـ لانجاز هذه الدراسة النقدية حول « كتاب آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون راجعنا مراجع ومصادر عديدة (انظر ثبت المراجع) .

٢ ـ توفيراً للوقت اعتمدنا صورة فتو غرافيّة وبدل النسخ مباشرة من المخطوط في دار الكتب الوطنية ؟ وبهاته الكيفية باشرنا العمل بأنفسنا ، منذ البداية ؟ تحاشيا لأخطاء يمكن أن تلحق النص الأصلي من جرّاء غفلة الناسخ ؟ فتشوّهه تشويهاً .

٣ ـ أثناء توخّينا طريقة المقارنة والتحقيق بين نص المخطوط (مخ) ونص

المطبوع (تح) ، تبيّن لنا أن هناك خلافاً بين النصين ، وقد لاحظنا ذلك مشيرين إلى المفارقات وأوجه النقص في النص المطبوع مما سوف يلاحظه القارىء بهوامش الكتاب .

٤ ـ محافظة منا على أصل النص ، لم نغيّر كلمة ، ولم نبدّل حرفاً ، قد وضعه قلم الناسخ في غير موضعه ، دون أن ننبّه إلى ذلك في حاشية الكتاب .

٥ ـ شرحنا بعض المفردات اللغوية التي يستعصي فهمها .

٦ ـ أرجعنا كل آية من أي الذكر الحكيم إلى سورتها وتحديد رقمها في السورة .

٧ ـ تتبّعنا كل حديث تقريباً وذلك بتقصي روايته والإشارة إلى المصدر الذي يحويه .

٨ ـ نعترف بأننا استفدنا من جهود المرحوم . ح .ح . عبد الوهاب وخاصة فيما يتعلق ببعض تراجم الأعلام والأشخاص الذين ذُكروا في صلب الرسالة ، لكننا أعدنا النظر فيها وذلك بالرجوع إلى أغلب المصادر المنصوص عليها في المطبوعة ، وحتى المصادر التي أغفلها المحقق ، بما فيها من أرقام أجزائها وصفحاتها ...

٩ ـ نظراً للأهمية التاريخية والعملية التي يمتاز بها مخطوطة « كتاب آداب المعلمين » ونظراً لصغر حجمه ،رأينا من الفائدة نشره كما هو مصوّر في آخر هذا الكتاب وذلك خدمة لمن أراد التحري والاطّلاع من الباحثين والمؤرخين في التربية والتعليم الإسلاميين .

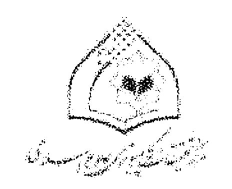
١٠ ـ تشمل الفهارس (الاعلام ، البلدان والأماكن) ، سائر الاعلام والأماكن والبلدان سواء أ كانت بالنص أو بهوامش الكتاب .

١١ ـ في فهرس الأعلام لم نراع في الترتيب الأبجدي: (الـ)،ولا (الكنية)، ولا (ابن) .

١٢ ـ في فهرس المواضع والمدن استغنينا عن ذكر المغرب وافريقية والقيروان ومحمد ﷺ لكثرة ورودها في النص والهوامش .

الباب الأول

بيئة محمّد بن سحنون
مؤلف كتاب آداب المعلمين



الكاتب أو العالم، هو عادة صورة العصر الذي عاش فيه ، وإذا أراد الباحث أن يدرس أثر أو آثار الكاتب فعليه أن يفهم البيئة التي نشأ فيها . فالإنسان مرتبط بالبيئة ارتباطاً عضوياً لأنه يتأثر بها ويؤثر فيها . ومن المؤكد ، أن تأثير البيئة في الفرد ، هو أقوى من تأثير الفرد فيها . ويستثنى من ذلك ، بعض المفكرين الذين سبقوا عصرهم وهؤلاء ـ كما نعتهم الدكتور الأهواني ـ « هم قادة الفكر ، وهم قلة إلى جانب أغلبية المجتمع ، وقد يمر عصر ، بل عصور دون أن يجود الزمان بهؤلاء الاحرار الذين يستطيعون التخلص من سلطان المجتمع ليفكروا دون تقييد أو جمود ، وليحكّموا عقولهم في سبيل إصدار الحكم الصحيح ، الخالص من أثر الاهواء والتعصب للشائع المعروف »[1] .

كانت البيئة السائدة في القرن الثالث الهجري ، بيئة دينية إسلامية في المشرق والمغرب ، ومسيحية في الغرب ، وكان « أهم ما يميّزها خضوع الناس في مناحي تفكيرهم وأحوالهم لسلطان الدين ، وهذه سمة العصر كله »[2] .

فكيف نشأت هذه البيئة الدينية منذ ظهورها إلى أن اتخذت ذلك اللون الخاص في شمال افريقية ، وفي القيروان خاصة ؟ تلك المدينة التي ولد فيها محمد ابن سحنون ونشأ فيها ...؛ إن التعريف بالبيئة الحضارية ضروري لفهم جوانب شخصية الكاتب ، وآثاره القلمية والعلمية .

١ ـ الاسلام المحور وصانع الحضارة : (في افريقية والمغرب)

في بداية القرن السابع الميلادي ، وفي ظروف النزاع بين أكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك ـ الفارسية والبيزنطية ـ كان لا بدّ من قوّة أخرى تنبع من قلب الجزيرة العربية ، وما تلك القوة إلا دولة عربية ، تقودها ايديولوجية إسلامية تتلاءم من جهة مع الظروف الجديدة ، وتكونَ من جهة أخرى قريبة من الوسط والنفسية العربية : كانت إذن الطرق مفتوحة لميلاد تلك الدولة ، ولميلاد رجل عبقري يقودها . ولما جاء الإسلام مبشراً ونذيراً أنزل الله على نبيّه محمد ـ ﷺ ـ أن الدين الإسلامي هو الدين الذي يجب اتّباعه : « إنّ الدينَ

---

(١) التربية في الاسلام ... (دار المعارف) ... ص ٢٤٠ .
(٢) المرجع السابق .

عندَ الله الاسلام »[٣] . « ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلنْ يقبل منه »[٤] .

ولذلك كانت غاية المسلمين ، أن ينشروا دينهم في جميع الأصقاع ، وكانت وسيلتهم إلى تحقيق ذلك ، الدعوة ثم الغزو . لذلك عرفت الإنسانية ، في بداية القرن السابع الميلادي ، عندما انتقل مشعل الحضارة الانسانيـــة إلى أيدي المسلمين « تياراً حضارياً قد جرف كل الحواجز التي اعترضت مــدّه الذي لا يقاوم ، وانطلاقاً من شبه الجزيرة العربية ، نمت دوحة الإسلام في أرض لم يتوفر فيها الماء والكلأ والشجر ، ومع ذلك « لم تلبث أن امتدّت فروعها وأغصانها حتى أظلـّت عالماً واسعاً فسيحاً ... تفجّر هذا الينبوع الهائل في واد غير ذي زرع ، في أرض الحجاز ، فلم يلبث أن أصبح فيضاً يغمر الجزيرة العربية ، ثم يتجاوزها في سرعة عجيبة مدهشة ، ليعمّ أقطاراً ضخمة في آسيا وإفريقية ، ثم يتجاوزهما إلى أوربا ، والمؤرخون، يسلمون بأن انتشار الإسلام بهذه السرعة، ظاهرة فريدة في التاريخ البشري كله ، وبعضهم لا يكاد يجد لها تعليلاً يقبـــله الفكر في سهولة ويسر »[٥] .

ولا يتسع المجال هنا لذكر التفاصيل والجزئيات لحركة الفتح الإسلامي ، بل نكتفي بالإشارة إلى أن العرب المسلمين ، بعد أن امتدت فتوحاتهم شرقاً وغرباً ـ انطلاقاً من جزيرة العرب ـ فسقطت دولة الفرس ، وغُلبت الروم ، وفتحت فلسطين والشام ثم اتجهوا غرباً نحو مصر ، ففتحها عمرو بن العـاص ، وكان مسيره إليها « في سنة تسع عشرة »[٦] .

وبعد ما انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر اتجه ، مـن الإسكندرية إلى برقة ففتحها سنة ٢٢ هـ . بدون كبير عناء ، وصالح أهلهـــا على الجزية . وقد أشارت كتب التاريخ إلى خيرات برقة في تلك الايام ، وغنى سكانها وطاعتهم ،

---

(٣) آل عمران : ١٩/٣ .

(٤) نفس السورة : آية : ٨٥ .

(٥) اطلس التاريخ الاسلامي ـ القـــاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥٤ المجلد : ١٢ من مجموعة الدراسات الشرقية بجامعة برنستون .
Princeton Oriental studies
(المقدمة)

(٦) انظر: فتوح البلدان للبلاذري: المطبعةالمصرية ١٩٣٢، ص ٢٢٢.

مما لفت ذلك نظر عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال : « لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلاً أسلم ، ولا أعزل منها . » . [٧] وتوجّه بعد ذلك لفتح طرابلس التي تمكّن من فتحها عنوة بعدما حاصرها أكثر من شهر .

« وضمّ جيش عمرو بن العاص في ليبيا عقبة بن نافع الذي وجّهـــه لفتح زويلة ، وسمّاه بعد ذلك حاكماً عليها ، وبذلك بـــدأ الدور الذي سيلعبه عقبة بن نافع في تاريخ المغرب العربي بعد سنوات قليلة » [٨] . ومما يذكر أن عمرو بن العاص كان ينوي التوغل في الأراضي الإفريقية ، ومواصلة السير نحو عاصمة امبراطور شمال إفريقية : سبيطلة ، ولكنه لم يجازف بذلك قبل أن يطلب موافقة الخليفة عمر بن الخطاب فكتب إليـــه يقول : « إن الله قد فتح علينا طرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » [٩] ولكن عمر بن الخطاب « كتب إليـــه ينهاه عنها » . [١٠] ويقول له : « لا إنها ليست بإفريقية ، ولكنهـا المفـرّقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » ، وفي روايـة أخرى : « لا أوجّه إليها أحداً ما مقلت عيني الماء » [١١] . وليس هناك ما يدعونا للتشكك في صحة رسالة الخليفة عمر هذه [١٢] .

ولاحظ الدكتور الجنحاني بهذا الصدد « أن المصادر القديمة والحديثة التي تحدثت عن شخصية عمر بن الخطاب وخلافته لم تحاول إلقاء الضوء الكافي على

---

(٧) المصدر السابق .

(٨) انظر : تلك الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور الحبيب الجنحاني تحت عنوان : **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية في المغرب العربي** . الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ . انظر خاصة : **الفتح العـــربي لبلدان المغرب** . ص : ٢٤ ـ ٤٢ .

(٩) ابن عبد الحكم : **فتوح مصر واخبـــارها** . ليدن ، ١٩٢٠ ، ص ١٧٣ ، وكذلك : فتوح البلدان للبلاذري « ١٩٣٢ » ... ص : ٢٢٧ .

(١٠) **فتوح البلدان** : ص : ٢٢٨ وكذلك نفس المصدر السابق : **فتوح مصر** لابن عبد الحكم .

(١١) نفس المصدر : **فتوح مصر** .

(١٢) انظر تلك الملاحظة لشارل اندري جليان في كتابه : (تـــاريخ شمال افريقيا)
Histoire de l'Afrique du Nord. Paris 1956 - Tome I, p. 13.

موقف الخليفة ابن الخطاب تجاه فتح إفريقية ، ومعارضته الشديدة لذلك » .
كما حاول الدكتور الجنحاني تفسير هذا الموقف بإيجاز مشيراً إلى عاملين أساسيين [١٣] :

أولاً : كانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب ، تتمثل أساساً في المحافظة على المدينة كعاصمة دينية وسياسية ، لتكون بذلك على اتصال عضوي ودائم بجميع ولايات الدولة الإسلامية الجديدة . وقد كان اتساع أرجاء الخلافة ، و تشتت أقطارها ، وبعدها عن المدينة الأم ، كثيراً ما يقلق عمر بن الخطاب ، ويجعله يخشى تصدّع أركان الخلافة ، فيما إذا ترك المدينة ، وأبدلها بعاصمة أخرى ذات أبّهة ، كما حدث عندما تحولت الخلافة إلى ملك . هذا بالإضافة إلى إشفاقه على الجيش الاسلامي من أن يتوغل كثيراً في أراض جديدة توغلاً ، من شأنه أن يجعل إمكانية الاتصال وإيصال النجدات بسرعة ، مستحيلاً . ومما يُروى ، عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه قال : « لا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أركب إليكم راحلتي ، حتى اقدم عليكم قدمت . » . إن قولة عمر هذه تشير إلى فقدان أسطول عربي ، وهو السبب ، نفس السبب الذي جعله يكتب إلى سعد بن أبي وقاص ـ بعد أن فتح القادسية ـ قائلاً له : « قف مكانك ولا تتبعهم ، واقنع بهذا ، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ، ولا تجعل بيني وبينهم بحراً . » .

وما من شك أيضاً، بالإضافة إلى ما تقدم، أن الخسائر الكبيرة التي تكبدتها الجيوش العربية الفاتحة جعلت الخليفة يحتاط ويشفق على الجيش من خوض معارك جديدة .

ثانياً : هناك إشارة ، في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، تدل « على أن الخليفة عمر كان ملمّا ـ إلى حدّ ما ـ بأخبار شمال إفريقية ، وإنه سمع بحركات الانفصال التي قام بها سكانها ضد ملوك الروم ، والصعوبات التي اعترضتهم ، أثناء حكمهم لتلك البلدان ، وان ذلك جعله يفكّر في الأمر ملياً ، وجعله يحجم عن

---

(١٣) اننا نؤيد ما ذهب اليه الدكتور الجنحاني من تفسير موقف الخليفة عمر : انظر التفاصيل في كتابه : القيروان ... ص ٢٦ ، ٢٧ .

٢٦١٦٠

الإذن بالفتح » . ويلاحظ الدكتور الجنحاني « أن تلك الأخبار التي وصلت إلى المدينة كانت قليلة ، ولم تأخذ أبداً طابع تحليل سياسي للأوضاع الداخلية التي كانت عليها إفريقية البيزنطية ولا سيما الخلافات المذهبية ، والضغط الاقتصادي والديني الذي كان ضحيتها السكان الأصليون ، والذي لا تسمح به مبادىء الإسلام »[١٤] .

ولما ولّي مصر ، عبد الله بن أبي سرح ، في خلافة عثمان ، غزا شمال إفريقية ، في سنة سبع وعشرين ، حسب رواية ابن عبد الحكم ، و « في بعض الروايات الأخرى سنة ٢٨ أو ٢٩ هـ». وبعد أن « فتح عبدالله بن سعد ، مدينة سبيطلة ، وجّه فيالق مختلفة انتشرت في أماكن كثيرة من البلاد التونسية ، فبلغت قفصة ، وحاصرت بقايا الروم في مدينة لجم،وقد تحصنوا بحصنها المنيع، وفتحها بعد ذلك بالامان ، ولكن جيوش عبد الله بن سعد ، لم تصل إلى قرطاجنة التي ما زالت تابعة للحكومة المركزية في القسطنطينية ، وقد كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية ، عن المصير الذي آلت إليه طبقة الارستقراطية الرومية في شمال إفريقيا التي أصبحت تسبى بناتها ، وتُرسل إلى الأمراء العرب ـ الذين تصفهم مصادر التاريخ البيزنطية القديمة ـ « بالبداوة والخشونة » . ولما رأى سكان إفريقية توغل الجيوش العربية ، وعدم قدرتهم على إخراجها ، صالحوا عبد الله بن سعد ، على ألفين ألف وخمسمائة ألف دينار كما ذكر ابن الأثير »[١٥] .

وبعد ذلك رجع عبد الله بن سعد إلى مصر ، ولم يولّ على إفريقية أحداً ، ولم يكن لها يومئذ « قيروان ، ولا مصر جامع».[١٦] وقد لخّص ابن خلدون ، ما وقع في هذا الفتح ، فقال : « قد ذكرنا ، في خلافة عثمان بن عفّان شأن فتح إفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح ، وكيف زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة وكبار العرب ، ففضّ جموع النصرانية الذين كانوا بها من الفرنجة والروم والبربر ، وهدم سبيطلة قاعدة ملكهم ، وخرّبها واستبيحت أموالهم ،

....

(١٤) نفس المرجع .
(١٥) عن كتاب القيروان ... للدكتور الجنحاني ... ص ٣٠ . يعتقد الدكتور الجنحاني ان هناك مبالغة في هذا الرقم المقدم .
(١٦) فتوح البلدان : ص ٢٢٩ .

وسبيت نساؤهم وبناتهم ، وافترق أمرهم ، وساحت خيول العرب في جهات أفريقية ، وأثخنوا في أهل الكفر قتلاً وأسراً ، حتى طلب أهل إفريقية من ابن أبي سرح ، أن يرحل عنهم بالعرب إلى بلادهم ، ويعطوه ثلثمائة قنطار من الذهب ففعل . وقفل إلى مصر سنة سبع وعشرين »[١٧] .

وتم فتح إفريقية ، في خلافة معاوية على يدي عقبة بن نافع الذي « غزاها في عشرة آلاف من المسلمين ، فافتتحها واختط قيروانها ... ثم بنى ، وبنى الناس معه الدور والمساكن ، وبنى المسجد الجامع بها » .[١٨] وكان ذلك سنة خمس واربعين .

وبعد سلسلة من الكرّ والفر ، والانتصارات والانهزامات (في حروب الردة) ،[١٩] « أمر عبد الملك بن مروان حسّان بن النعمان الغساني بغزو إفريقية ، وأمدّه بالعساكر ، ودخل القيروان ، وافتتح قرطاجنة عنوة ، وخربها ، وفرّ من كان بها من الروم والفرنجة (...) ، وأمّن البربر ، وكتب الخراج عليهم ، وعلى من معهم من الروم والفرنج. » .[٢٠] ودانت ، بعد ذلك ، إفريقية للاسلام . فكان المغرب إذن « لم يتخذوا الإسلام ديناً ، والعربية لغة » إلا بعد قتال عنيف ومرير : لقد قاوموا أول الأمر ، الفاتحين العرب أشدّ مقاومة ، ودافعوا عن ذاتيتهم بكل قوّة ، لأنهم كانوا يظنون أن المسلمين ، كغيرهم من المحتلين الفنيقيين والرومان والوندال والروم البيزنطيين .. والحق أن البربر ، قاوموا ، طيلة قرون عديدة ، اضطهاد هؤلاء المستغلين ، وظنوا أن العرب الفاتحين أتوا هم أيضاً لاضطهادهم وسلبهم ونهبهم وفرض السخرة عليهم . لذلك قابلوا الفاتحين العرب أوّل الأمر ، بعين الحذر ، ثم سادهم رويداً رويداً الدين الجديد الذي قدّروا تعاليمه القائمة على المساواة والعدل حتى دخلوا فيه أفواجاً وجماعات ، وصاروا بدورهم من دعاته المخلصين. وما اعتنق البربر الدين

(١٧) **كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر** لابن خلدون ، ٤/ ١٨٥ .

(١٨) **فتوح البلدان** ، ص ٢٣٠ ، **ومعجم البلدان** لياقوت، ط. ليبزغ سنة ١٩٦٩ ، ج ٤ ، ص ٣١٣ .

(١٩) انظر ذلك بتفصيل في كتب التاريخ خاصة كتاب : **فتوح البلدان** للبلاذري ، **وفتوح مصر** لابن عبد الحكم، **وكتاب العبر** لابن خلدون وغيرها .

(٢٠) **كتاب العبر** : ٤/ ١٨٨ .

الإسلامي حتى انكبّوا على تعلّم لغة القرآن والحديث ، وأصبحت بالتالي لغتهم . ولا نغفل أيضاً ، ما كان من نتائج سياسة حسان بن النعمان الغساني الذي كان له الفضل الأكبر ، بعد أن فتح إفريقية فتحاً نهائياً ، في تنشيط وتعميم حركة التعريب : لقد وزّع هذا الأمير المصلح ، مساحات كبيرة من الاراضي على صغار فلاحي البربر ، وقد كانت ملكاً للأمبراطورية البيزنطية وهكذا مكنهم من استرجاع حقوقهم ، بعد أن كانوا غرباء عن أرضهم فتمركزوا في هذه الاراضي واستقرّوا بها استقرار من يلتصق بالارض ويتخذها وطناً .

بمثل هذه السياسة الإسلامية العادلة ، التي ارتكزت على «الإصلاح الزراعي» ، وعلى تعليم البربر وأبنائهم ، لغة الدين الجديد وعلومه ، كسب الإسلام قلوب البربر جميعاً . وهكذا انضمت الوحدة الدينية ، إلى الوحدة اللغوية ، وهذا الاندماج الروحي المادي ، بين العناصر السكانية المختلفة الاعراق ، أصبح اندماجاً كلياً تاماً ، في ظل العدالة ، والمساواة والإخاء الاسلامي .

القيروان ، مدينة الشهادة والاستشهاد :

القيروان : لفظ فارسي معرّب ، وهو كاروان بالفارسية وقد تكلمت العرب به قديماً ومعناه ، محط الجيش ، ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب[٢١]. وقد أصبحت بعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، عاصمة لا لافريقية فحسب ، بل لبلاد المغرب كلها . فالرجال الذين أنشأوها ، وأقاموا معالمها ، هم رجال ، عايشوا النبي ــ ﷺ ــ فآمنوا به ، واندفعوا بقوة العقيدة الجديدة ، والإيمان الراسخ ينشرون ديناً جديداً ، وحضارة جديدة وكانت القيروان محط الرحال للفاتحين العرب ، فاتخذوها نقطة انطلاق لفتح بلاد المغرب كلها ، ومركزاً ممتازاً لنشر مبادىء الدين الحنيف ، في هذه الربوع . نشأت هذه المدينة الخالدة بدماء الشهداء ، ولاقى الفاتحون العرب لإقامة معالمها ، كفر الطبيعة وضراوة

---

(٢١) انظر مزيدا من التفاصيل حول تأسيس مدينة القيروان وتطور حركة العمران بها ، كتاب الدكتور الجنحاني : **القيروان** ، ص ٥٤ ــ ٦٣ .

ــ انظر الملحق المنشور في ذيل المرجع السابق ، وفيه ما كتبه الجغرافيون العرب ، عن مدينة القيروان ، ص ١٦٩ ، ص ١٨٠ .

ــ انظر قائمة بالمصادر الاوروبية التي تحدثت عن القيروان في نفس المرجع السابق ، ص ٥٤ الاحالة : رقم : (٧٣) .

حرب العصابات ، نشأت أولاً كقاعدة حربية ، ثم تطورت إلى عاصمة دينية واقتصادية وسياسية ، وبلغت القيروان أوجها في الحضارة ، حين أصبحت عاصمة لثلاث دول من أشهر وأقوى دول المغرب العربي في العصور الوسيطة وهي دولة الأغالبة ، ودولة الفاطميين ودولة الصنهاجيين . لقد كتب الإدريسي يصف القيروان :

فقال : « ومدينة القيروان أم أمصار ، وقاعدة أقطار ، وكانت اعظم مدن المغرب قطراً ، واكثرها بشراً . وأربحها تجارة ، واكثرها جباية ، وأنفقها سلعة ، وأنماها ربحاً .. » (٢٢) .

والجدير بالذكر أن بعد إفريقية عن مركز الخلافة في المدينة ، وبعد ذلك في دمشق ، والمعارك الضارية التي دارت رحاها في سنوات الفتح ، وانتشر خبرها في المشرق ، واستفحال مذهب الخوارج ، وما تسبب فيه من قلاقل ، وانتفاضات قامت بها القبائل البربرية ، كل هذه العوامل ، جعلت الخلافة الإسلامية تهتم بافريقية اهتماماً متزايداً لم يقتصر على إرسال المدد والجيوش ، والولاة الماهرين ، بل تجاوز ذلك فشمل إرسال الصحابة والتابعين ، لتعليم سكان إفريقية مبادىء الدين الجديد ، وتشجيعهم على الإقامة في الأرض الجديدة ، ولهذا الغرض دخل عدد كبير من الصحابة والتابعين ، المغرب واستقرّوا بالقيروان (٢٣) .

أولئك هم الرعيل الاول الذي حمل الإسلام إلى أهل إفريقية وهم الذين كانوا يجاهدون وينشرون الدعوة ، فاتخذهم الناس أئمة وقدوة ، لان منهم من صحب النبي ، أو كان من كبار التابعين . كان في جيش عبد الله بن أبي سرح ، معبد ابن العباس بن عبد المطّلب ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، والحارث ابن الحكم وأخوه ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ... (٢٤) وغيرهم خلق كبير من الذين خرجوا للجهاد

---

٢٢ ـ انظر كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، تحقيق ونشر ر. دوزي و ج. دي غويه ، طبع بريل ـ ليدن ، سنة ١٨٦٤ ، ص ١١٠ .

٢٣ ـ راجع طبقات علماء افريقية لابي العرب ط . باريس ١٩١٥ . ص ١١ وما بعدها .

ـ انظر أيضا الحياة الفكرية في القيروان (كتاب القيروان للدكتور الجنحاني) ـ ص / ١٥٣ ـ ١٦٥ .

٢٤ ـ فتوح البلدان . ص ٢٢٨ .

من المدينة ومن حولها ، ولم يرجع منهم إلا القليل ، على حين « مكث أغلبهم وبنى واستقر ، ذلك أن المعيشة في جزيرة العرب لا تسهل على أهلهـا ، لقـلة مواردها وقسوة الجو فيها »[٢٥] .

ومن هؤلاء الصحابة من استشهد في ميدان القتال وقبورهم بالقيروان تُدعى بقبور الشهداء . مثلاً: في غزوة العبادلة السبعة (التي تعتبر أول غزوة في إفريقية وكانت في عهد الخليفة عثمان . والتي اتصفت بالضراوة وتحمل فيها المسلمون المشاق في سبيل اعلاء كلمة الله) ، قتل كثيرون ، سبعة منهم مـن وجـوه الصحابة هم :

ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح : أحد كتاب وحي الرسول ﷺ.

ـ عبد الله بن الزبير بن العوّام ، وأمّه اسماء بنت أبي بكر الصديق .

ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .

ـ عبد الله بن جعفر .

ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب .

ـ عبد الله بن مسعود .

ـ عبد الله بن عمرو بن العاص .

ومما يذكر أن عقبة بن نافع ، ولد في أول الهجرة النبوية فعدّ لذلك صحابي المولد . تولّى إمارة الجيش المغربي مرتين ، وغزا المغرب إلى منتهـاه ، حتى وصل به الفتح إلى المغرب الاقصى، ولم يصدّه عن تقدمه إلا المحيط الاطلنطي.. وما أن انتهى إلى البحر حتى اقحم فرسه فيه ورفع يديه إلى السماء وقـال : « اللـّهم اشهد أني بلغت المقصود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتـل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك »[٢٦] .

---

٢٥ ـ التربية في الاسلام ـ للدكتور فؤاد الاهواني ص ٣٧ ٠

٢٦ ـ تحقق هذا الحلم على يد كل من طارق بن زياد الذي قاد جيشا كبيرا من العرب والبربر ، وموسى بن نصير « القائد الأعلى » الذي ربط سنة ٩٣ هـ ٠/٧١١ م مصير اسبانيا بالعالم الاســـلامي ٠ وهذه المعركة التي خاضها الجيش الاسلامي تحت قيادة موسى بن نصير

وبينا كان عقبة عائداً ، إذ تقدمته جنوده وبقي معه نفر قليل من جلتهم كسيلة ، الزعيم البربري الذي أسلم زوراً وخديعة فاغتنم الفرصة ، وأعلم قومه بقلة المسلمين ، وأمرهم بالهجوم الصاعق ، ومن ثم انقض* البربر ، في الحين ، على عقبة وجماعته وكانوا في نحو ٣٠٠ مقاتل ، فدافعوا عن أنفسهم دفاع الابطال ، وتكاثر عليهم العدو ، حتى استشهدوا في مصرع واحد .

ويقول ابن خلدون : أن أجداث اولئك الشهداء (عقبة وجماعته) بمكانهم ذلك من أرض الزاب ، وقد اتخذ على قبر عقبة مسجد يُعرف باسمه ، وهو في عداد المزارات ، بل هو من أشرف المزارات لدى المسلمين في بقاع الارض ، لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين (٢٧) .

٣ - الحياة الدينية والفكرية بالقيروان - منذ الفتح حتى أواخر القرن الثالث الهجري .

مما تقدم يتبين أن انتشار الدعوة الإسلامية بين قبائل البربر التي كانت معتنقة لاديان مختلفة قبل الإسلام ، لم يكن بالامر السهل . ألم يقل فيهم عقبة بن نافع قولته المشهورة التالية ؟ :

---

* تعتبر من اهم المعارك الاسلامية .
انظر : عن فتح الاندلس .
- ابن عذارى : **البيان المغرب في اخبار المغرب** ج١ ص٢٨ وما بعدها ج٢ . ص٥ وما بعدها .
- ابن عبد الحكم : **فتوح مصر واخبارها** . ص/ ٢٠٤ وما بعدها .
ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** : ج٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٠
- المقري : **نفح الطيب** القاهرة ١٣٠٢ هـ - . ج ١ ص : ١٠٦ ومـا بعدها وكذلك :

E. LEVY - Provençal, **Histoire de l'Espagne musulmane**, Paris 1950-53.

E. DOZY - **Histoire des Musulmans d'Espagne**, Lyde - E.J. BRILL 1932.

٢٧ - ومن اجمل ما يؤثر عن هذا القائد الاسلامي العظيم وصيته لابنائه لما عزم على فتح المغرب . قال لهم : يا بني ! اني بعت نفسي من الله ولا ادري ما يقضي علي في سفري . يا بني ! اني اوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها ، أملاءوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب ما تهتدي به السنتكـم ويدلكم على مكارم الاخلاق واوصيكم ان لا تداينوا ولو بعتم العباء، فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل،فدعوه تسلم لكم اقداركم واعراضكم ولا تقبلوا دينا الا من أهل الورع ، فانه أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا » .

« إن أهل هذه البلاد قوم لا أخلاق لهم ، إذا عضهم السيف أسلموا ، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا الى عاداتهم ودينهم ، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأياً ، وقد رأيت أن أبني هنا ، مدينة يسكنها المسلمون. فاستصوبوا رأيه .. »[٢٨].
ألم يشغل استتباب الأمر ، ونشر الاسلام وتمكين الدين واللغة العربية من النفوس ، الدولة الأموية كلها ؟

« ولي هشام ، كلثوم بن عياض افريقية ، فانتفض أهلها عليه ، فقتل بها »[٢٩].
ولم تستتب الامور إلا في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي ولى المغرب اسماعيل بن أبي المهاجر ، فسار أحسن سيرة ، ودعا البربر الى الاسلام »[٣٠].

وهذه الرواية تطابق ما ذكره صاحب البيان المغرب : « وما زال اسماعيل حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام ، حتى أسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز . وهو الذي علم أهل افريقية الحلال والحرام ، وبعث معه عمر رضي الله عنه ، عشرة من فقهاء التابعين ، أهل علم وفضل ، ومنهم عبد الرحمن بن نافع ، وسعيد بن مسعود التجيبي وغيرهما »[٣١] .

ويؤيد ما سبق ، ما جاء في تاريخ ابن خلدون[٣٢] . وكان هؤلاء الصحابة والتابعون ، هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة ، ومبادىء اللغة العربية ، بين أبناء البربر . وبذلك تم إسلام البربر ، وأصبحت لغتهم العربية كما حدث للفرس وغيرهم من الشعوب غير العربية . وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الاولى من علماء الدين في القيروان وفي المغرب كله ، أمثال البهلول بن راشد ، ورباح بن يزيد ، وعبد الله بن فروخ وابن غانم الرعيني ، وأسد بن الفرات . ومن العلماء الذين قدموا على افريقية وتخرج عليهم عدد من القيروانيين ، أبو معمر عباد بن عبد الصمد التميمي من أهل البصرة ، وهو ممن درس على أنس بن مالك والحسن البصري[٣٣] .

---

٢٨ ـ راجع معجم البلدان لياقوت الحموي ... تحقيق ف . فيستينفيلد ط . ليبزغ ١٨٦٩ . المجلد الرابع ص/٢١٢ ـ ٢١٤ .
٢٩ ـ فتوح البلدان . ص/ ٢٤٤ .
٣٠ ـ نفس المصدر ص/٢٣٣ .
٣١ ـ البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. ١٩٦٥ ـ الجزء الاول. ص/٣٤ .
٣٢ ـ العبر : ٤/١٨٨ .
٣٣ ـ راجع طبقات افريقية . ص/٢٦ .

انقضى نحو قرن من الزمان ، منذ الفتح حتى إسلام البربر ، وانقضى نحو قرن آخر ، تفقه فيه أهل شمال افريقية ، حتى برز منهم علمـاء يشار إليهم ويعتد بهم في المدرسة المالكية ، نذكر منهم عبد الله بن غانم ، وعبدالله بن فروخ ، وابن رشيد ، ومحمد بن عبدوس ، وعبد الله بن طالب ، وغيرهم ممن ترجم لهم أبو العرب ، والخشني وكتاب الطبقات .

فما هي أهم التطورات الفكرية والعلمية التي مرت بها القيروان أثناء دولة الأغالبـــة ؟

على الرغم من تطور العلوم الدينية والعقلية ، أثناء حكم الاغالبة ، وانتشار التعليم وتكاثر الطلاب الافريقيين وتواجد العلماء ، إلا أنه لم يكن بالمغرب من أئمة العلماء الكبار من يأخذ الناس عنهم ، ولم تكن حلقات العلم الكثيرة ، في مساجد القيروان، بما يشبع نهم طلاب العلم الراغبين في التبحر والاختصاص . « وإنما كان سبيل طلاب العلم أن يرحلوا إلى مواطنه يثقفون أنفسهم ، ويشبعون نهمهـم ، ويروون غلتهم . والطريق الطبيعي ، الذي لا بد لأهل المغرب أن يسلكوه إذا أرادوا طلب العلم ، هو الرحلة إلى مصر ، ومنها إلى البلاد الشرقية ، خصوصاً الحجـاز ، فقد كانت مصر « الفسطاط » مركزاً من مراكز العلم،ظهر فيها الشافعي وهو أحد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الذين يأتم بهم المسلمون ، ويعتمدون عليهم في الفقـــه ، وتفسير العقائد والعبادات ، وانتشر أيضاً مذهب مالك ، وكان له في مصر تلاميذ كثيرون ، نذكر منهم أشهب ، وابن القاسم ، واصبغ بن الفرج .

أما البلاد الشرقية الاخرى التي كان المغاربة يتوجهون إليها ، فهي مكة والمدينة. وكانوا ينحبون إليها بحكم الضرورة : في مكة ، الكعبة التي يحج إليها كافة المسلمين ليؤدوا فريضة الحج التي أمر الله بها ، وفي المدينة ، قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – يزوره الحجاج ، ويشهدون مهبط الوحي ، والبيئة الاولى التي ينبع منها الدين . في مصر ومكة والمدينة من العلماء المتمكنين في العلم . غنية لمن يطلب التوسع في أسرار الدين ، والتفقه في أحكام المعاملات والعبادات والتشريع [٣٤] » .

لذلك اتصل المغاربة، وهم راحلون للحج بالبيئات العلمية في مصر ومكة والمدينة، فتفقهوا (والبعض منهم نبغ) ورجعوا إلى بلادهم لإذاعة مناهج الأئمة العقلية والنقلية. وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون :

---

٣٤ ـ انظر : التربية في الاسلام للدكتور الاهواني ص ٣٩ .

« وأما مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس لأن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم . « والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق . ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقتصروا على الأخذ من علمـاء المدينة . وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبـله ، وتلاميذه من بعده . فرجع إليه أهل المغرب والاندلس ، وقلدوه دون غيره بمن لم تصل إلينا طريقته » [٣٥] .

أيام الأغالبة نشأ المذهبان اللذان عرفتها افريقيـة آنذاك : المذهب المالكي ، والمذهب الحنفي ، وقامت بينها أول معركة فكرية عاشها المجتمع القيرواني ، وقد اتخذت هذه المعركة أحياناً كما أكد لنا ذلك الدكتور الجنحاني : « شكل الجدل والمناقشات الحادة » . ولكنها اتخذت أيضاً أشكال العنف الذي ذهب ضحيته عدد من أنصار المدرستين [٣٦] .

كان أسد بن الفرات [٣٧] هو أول من نشر المذهب المالكي في عاصمة الأغالبة معتمداً في ذلك على موطأ مالك كما رواه عنه . ويعتبر أول من وضع قواعد المدرسة المالكية : إن كتابه الأسدية كان مرجع الدارسين لمذهب مالك في المغرب إلى أن وضع الامام سحنون كتابه المشهور «بالعمدة» وفرضه على فقهاء افريقية ولا سيما في القيروان . وذكر لنا أبو العرب ، تلك الرواية التي تشير إلى أن أسد بن الفرات كان يقول بخلق القرآن ، فأنكرها واعتبرها غير صحيحة ، كما نفاها تلميذه سحنون نفياً

---

٣٥ ـ مقدمة ابن خلدون « المطبعة البهية بالازهر » ص ٣٩٥ .

٣٦ ـ انظر : القيروان وخاصة الحياة الفكريـة ص / ١٥٥ للدكتور الجنحاني .

٣٧ ـ توفي سنة ٢١٣ هـ . في حصار قوسة ، وكان امير الجيش وقاضيه . راجع : الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون ص ٩٨ .
نلاحظ انه في نفس الوقت الذي نشات فيها المدرسة المالكية « مدرسة المدينة » في القيروان نشات معها المدرسة الحنفية ، او مدرسـة العراقيين وربما كانت اقوى واكثر انصارا في اول الامر من المدرسة المالكية . ومن الطريف ان المذهب الحنفي دخل القيروان وانتشر فيها على يد اسد بن الفرات حسبما ذكره كل من المقريزي وابـن فرحون . وهذا ليس مستبعدا ذلك ان اسد درس على تلاميذة ابي حنيفة ، وانه كان متسامحا عندما اصبح زعيما لمدرسة المدينـة بالنسبة للمدرسة المقابلة ويرى الدكتور الجنحاني انه اذا « ثبت ان اسد بن الفرات قد لعب دورا في دخول المذهب الى افريقيـة ، فيكون ذلك قد تم في فترة لم يقرر اسد خلالها اتجاهه النهائي بعد» . انظر : القيروان : ص ١٥٩ .

قاطعاً [٣٩] ، ولكن يجب أن نلاحظ أن اجتماعه بأقطاب المدرسة العراقية أمثال أبي يوسف ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، قد جعله أقل تعصباً للمذهب المالكي – بعد أن درس على الامام مالك – من خليفته ومنافسه الامام سحنون ، ولكن هذا التسامح لا يصل إلى درجة أنه يقبل المعارضة التي تمس بنفوذه بين أنصار المدرسة المالكية ، فقد ذكر الخشني أن أسد بن الفرات كان يوماً ما في المسجد ، فحدث بحديث أنكره عليه سليمان الفراء الذي كان حاضراً « فسمعه أسد فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله فضربه ضرباً شديداً حتى أدماه [٤٠] » . ولما عاد الامام سحنون من المشرق بدأ التنافس بينه وبين أستاذه أسد بن الفرات الذي تولى قضاء القيروان مع أبي محرز أحد ممثلي المدرسة المعتزلية القيروانية في عهدها الاول . « ولم يكن أسد رجلاً نظرياً فقط ، بل كان يحب المشاركة في الاحداث السياسية » [٤١] .

وقد تولى قيادة الاسطول الأغلبي لفتح صقلية ، وبعد وفاة أسد بن الفرات ، أصبح الميدان فسيحاً للامام سحنون الذي تزعم وحده المدرسة المالكية [٤٢] سمع سحنون عن ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وابن عبد الحكم ، وسفيان بن عيينة . قال سحنون :

« خرجت إلى ابن القاسم وأنا ابن خمس وعشرين ، وقدمت إلى افريقية ابن ثلاثين سنة » . كان سحنون « ثقة حافظاً للعلم ، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره من الفقه البارع ، والورع الصادق ، والزهادة في الدنيا ، وسلم له بالامامة أهل عصره ، واجتمعوا على فضله وتقديمه . سئل أشهب عمن قدم إليكم من المغرب ، قال : سحنون . قيل له فأسد ؟ قال : سحنون ، والله ، أفقه منه بتسع وتسعين مرة . وقال ابن القاسم : ما قدم إلينا من افريقية مثل سحنون . وقال الشيرازي :

---

٣٩ – طبقات علماء افريقية ، ص ٨٢ .

٤٠ – نفس المراجع .

٤١ – القيروان للدكتور الجنحاني . ص ١٥٦٠ .

٤٢ – كتب على مشهد قبره بالقيروان ما يلي : « هذا مقام سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني ، الفقيه الحافظ ، العابد ، الزاهد أخذ عن ائمة المالكية في المغرب كالبهلول بن راشد وعلي بن زياد وأسد بن الفرات وأخذ عن أهل المشرق كابن القاسم وابن وهب وابن عبد الحكم وهو صاحب المدونة التي عليها الاعتماد في المذهب المالكي . ولد في رمضان سنة ١٦٠ هـ . وتولى قضاء الجماعة لدولة الأغالبة سنة ٢٣٤ هـ . وتوفي سنة ٢٤٠ هـ وهو على ولايته » .

إليه انتهت الرياسة في العلم بالمغرب ، وعلى قوله المعول بالمغرب . قال سحنون :

كنت عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه ، فقيل له : ما منعك من السماع منه ؟ قال : قلة الدراهم . وقـــال مرة أخرى : لحى الله الفقر فلولاه لأدركت مالكاً [٤٣] » .

ذكر ابن خلدون رواية عن تصنيف المدونة لسحنون قال : « ورحل من افريقية أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفـة أولاً ثم انتقل إلى مذهب مالك ، وكتب عن ابن القاسم في سائر ابواب الفقه ، وجاء إلى القيروان بكتابه ، وسمي الأسدية فقرأ بها سحنون على أسد . ثم ارتحل سحنون إلى المشرق ولقي ابن القـاسم وأخذ عنه ، وعارضه بمسائل الأسدية فرجع عن كثير منهـا ، وكتب سحنون مسائلها ودونها ، وأثبت ما رجع عنه ، وكتب لأسد أن يأخذ بكتاب سحنون فأنف من ذلك . فترك الناس كتابه ، واتبعوا مدونة ابن سحنون » [٤٤] .

ولما تولى سحنون القضاء استغل منصبه الجديد في القضاء على المذاهب الاخرى ، وطرد من الجامع ، أصحاب المذهب الأباضي ، وأهل الصفرية وتسبب للقاضي ابن أبي الجواد بقصة الاموال التي ماطل في دفعها ، فسجنه وجـلده ، حتى توفى متأثراً بسياط سحنون ، ويظهر ، « أن السبب الحقيقي لهذه للمعاملة القاسية هو أن ابن الجواد كان من أنصار المدرسة الكوفية « العراقية » ، وكان يقول بخلق القرآن [٤٥] ومما يؤثر عن سحنون في استعمال نفوذه للضغط على المخالفين لمذهبه هو توليته لسليمان بن عمران على قضاء باجة بعد ان امتحنــه في مسائل تتعلق بمذهبه « فأظهر له سليمان أن مذهبه مذهب المدنيين ، وأنه تارك لمذهب العراقيين » [٤٦] .
وإلى جانب منصب القضاء ، تصدر الامام سحنون التدريس وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة المغاربة والأندلسيين . روى الخشني أن درسه ضم أحياناً سبعمائـة طالب . وتوفي سحنون سنة ٢٤٠ للهجرة . وسار محمد بن سحنون سيرة أبيه [٤٧] في تثبيت مذهب مالك بالقيروان والمغرب ، فسمع من أبيه وتفقه على يديه ، وجلس

---

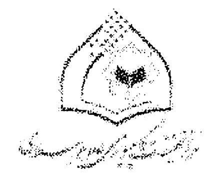
٤٣ ـ عن التربية في الاسلام ، للدكتور الاهواني ـ ص ٤٠ .
٤٤ ـ عن مقدمة ابن خلدون : ص ٣٩٥ .
٤٥ ـ طبقات علماء افريقية . ص ١٨٠ .
٤٦ ـ المرجع السابق ـ ص : ١٨٠ .
٤٧ ـ الديبـاج : ص : ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

في مجلسه بعد موته ، على يد أمثال محمد بن سحنون انتشر مذهب مالك في المغرب في القرن الثالث ، وأصبح المذهب السائد في تلك الأنحاء ، واتبعه جيلاً بعد جيل .
ولهذا لم يكن من الغريب أن ينشأ ابن سحنون مالكياً ، لأنه ولد في القيروان فتأثر بالبيئة الثقافية والدينية الغالبة في عصره ، وهي بيئة تأخذ وتطبق الفقه الاسلامي على أساس من القرآن والسنة .

★

الباب الثاني

حياة محمد بن سحنون



اسمه ولقبه :

في مطلع ونهاية « كتاب آداب المعلمين » ـ الذي هو موضوع بحثنا هذا ـ ذكر الناسخ أن المؤلف هو « محمد بن سحنون » . أما اسمه فهو عبد السلام بن سعيد ابن حبيب التنوخي وتتفق كتب التراجم [1] على أن أباه سحنون بن سحنون بن حبيب بن ربيعة التنوخي « ١٦٠ هـ ـ ٢٤٠ هـ » كان اسمه عبد السلام ، وقد غلب عليه سحنون ، لحدة ذكائه .

مولده ونشأته :

ولد بالقيروان « سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين ، ودفن بباب نافع » [2] بالقيروان .

نقل لنا ، عن أبي العرب ، المؤرخ القيرواني عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي الرواية التالية : قال : « كان إماماً ثقة عالماً بالمذهب (مذهب أهل المدينة) ، عالماً

---

١ ـ انظر :
رياض النفوس لابي بكر عبد الله بن ابي عبد الله المالكي ـ القاهرة ـ ١٩٥١ ـ الجزء الاول ص : ٢٤٩ ـ ٢٦٠ .
ـ معالم الايمان ... = معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ، للشيخ عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد الدباغ ، تونس ، ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني . ص : ٤٩ ـ ٦٨ .
ـ الديباج ... = الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥١ هـ ـ ص : ١٦١ ـ ١٦٦ .

٢ ـ لا خلاف بين اصحاب الكتب السابقة التي اخذنا عنها ـ في الترجمة لمحمد بن سحنون ان عام وفاته هو سنة ٢٥٦ هجري . وهذا التاريخ يتفق مع التاريخ المنقوش على مشهد قبره او مقامه الموجود بـإزاء مقام والده سحنون ، بالقيروان ـ انظر خاصة :
ـ رياض النفوس ، كتاب تراجم نفيس : في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم واوصافهم . قام بنشره حسين مؤنس ـ الجزء الاول : من الفتح العربي الى آخر سنة ٣٠٠ هجري . مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ـ ص : ٣٤٥ وما بعدها .

بالآثار ، لم يكن في عصره أحد اجمع لفنون العلم منـه ، ألف في جميع العلوم وفي المغازي والتاريخ .

وكان والده قد تفرس فيه الامامة ، إذ يقول : ما أشبهه إلا بأشهب ، وكان والده يقول لمعلمه : لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف ، فإني أرجو ان يكون نسيج وحده ، وفريد أهل زمانه ، واتركه على نحلتي ، وأخاف ان يكون عمره قصيراً » [٣] .

فكل من ترجم له ، لا يختلف في مولده ولا في تربيته ، وتعليمه ، في كنف والده الذي بوأه مكانة خاصة لأنه توسم فيه منذ الصغر استعداداً واضحاً ، وذكاء فطرياً بارزاً .

وبعد أن حفظ القرآن والعلوم الضرورية ، انتقل بعد ذلك ، إلى الدراسة العالية فسمع من أبيه وتفقه على يديه ، وكان يناظره في شتى المسائل العلمية . قال القاضي أبو الفضل عياض راوياً عن يحيى بن عمر : « كان ابن سحنون من أكثر الناس حجة وأثبتهم لها . وكان يناظر اباه . وكان يسمع بعض كتب أبيه في حياته ، يأخذها الناس عنه قبل خروج أبيـه ، فإذا خرج أبوه قعد مع الناس يسمع معهم من أبيه » [٤] كما أخذ العلم وسمع « من موسى بن معاوية الصمادحي وعبد العزيز بن يحيى المدني ، وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي [٥] » [٦] وغيرهم كثير حتى أصبح الناس « يحلقون عليه بعد حلقة أبيه وكان يؤلف في حياة والده الذي كان يقول له : يا محمد ، احذر أهل العراق فإن لهم ألسنة حداداً ، وإياك أن يغلط قلمك فتعتذر فلا يقبل عذرك » [٧] .

....

٣ ـ انظر خاصة :
معالم الايمان : الجزء الثاني : ص : ٨٠ .
المدارك : « تراجم أغلبية مستخرجة من المدارك للقاضي ابي الفضل عياض ٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ ـ ١١٤٩ م » تحقيق محمد الطالبي نشر الجامعة التونسية ١٩٦٨ ـ ص : ١٧١ .
٤ ـ المصدر السابق : ص : ١٧١ .
٥ ـ هو تلميذ مالك بن انس .
٦ ـ انظر خاصة : رياض النفوس : الجزء الاول . ص : ٣٤٦ .
المدارك : ص : ١٧٠ .
معالم الايمان : الجزء الثاني ، ص : ٧٩ .
٧ ـ معالم الايمان : الجزء الثاني . ص : ٨٠ .

رحلته الى المشرق في طلب العلم :

وفي سنة ٢٣٥ هـ ، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، وطلب العلم ، كعادة رجال التعليم والشريعة المغاربة في كل زمان . وقبل سفره نصحه والده قائلا : « إنك تقدم على بلدان ـ سماها ـ إلى أن تقدم إلى مكة فاجتهد جهدك ، فإن وجدت عند أحد من أهـــل هذه البلدان مسألة خرجت من دماغ مالك بن أنس وليس هي عند شيخك ـ « يعني نفسه » فاعلم أن شيخك كان مفرطاً » [٨]. وفي معرض الكلام على رحلة ابن سحنون إلى المشرق روى لنـــا المالكي والدباغ وعياض ، القصة الطريفة التاليـة :

كان يصحب محمد بن سحنون ، في رحلته إلى الحج ، رجل يعرف بأبي الفضل بن حميد [٩] وكان يسمع منه الفقه وعلم الكلام ولم يكن ماهراً في عـــلم الجدل . ومما يذكر أنه قد خرج قبل هذه المرة إلى الحج ، فمر بمصر ودخـل ، ذات يوم ، حماماً كان يديره رجل يهودي ، فلما خرج من الحمام ، أقبل يناظر ذلك اليهودي الذي غلبه لقلة معرفته وحذقه لعلم الجدل والمناظرة « فرجع إلى القيروان ، بعدما حج وفي قلبه حسرة ، ان لم يكن عنده من المناظرة ما يدحض به حجـــة اليهودي . فلما رجع ، دخل على محمد بن سحنون فهابه أن يذكر الحكاية » [١٠] . فلما عزم محمد بن سحنون على الحج ، قال أبو الفضل بن حميد في نفسه ، سأحج معه « حتى أجمع بينهما . فلما وصل معه لمصر قال له : ـ حفظك الله ـ إن أهل مصر إذا سمعوا بك ، يأتون إليك ، فهل لك أن تدخل الحمام ؟ قـــال : أجل . فقصد به حمام ذلك الرجـل اليهودي » [١١] ، فلما قرب خروج ابن سحنون ، « سبقـه ذلك الرجل بالخروج ، فأنشب المناظرة مع اليهودي ، فلما خرج ابن سحنون ، وجدهمـــا يتناظران وقد استعلى اليهودي على الرجل بكثرة الحجاج والمناظرة بالباطل ، لضعف الرجل وقلة

---

٨ ـ انظر تفاصيل هذه الرواية في :
ـ رياض النفوس : ١/٣٤٦ .
ـ معالم الايمان : ٢/٨٠ .
٩ ـ اخ علي بن حميد ، الوزير .
١٠ ـ انظر تفاصيل القصة في :
ـ رياض النفوس : ١/٣٥١
ـ معالم الايمان : ٢/٨٠ و ٨١
ـ المدارك : ص ـ ١٧١ .
١١ ـ معالم الايمان : ٢/٨١.

معرفته بالمناظرة . فدخل معها محمد فياها فيـــه ، ورجعت المناظرة بين اليهودي ومحمد بن سحنون »[١٢] حتى حضرت صلاة الظهر ، فصلاها محمد ، ثم رجع معه إلى المناظرة ، حتى حضرت العصر فصلاها محمد ، ثم رجع ، حتى كانت صلاة المغرب فصلاهـا ... [١٣].

وقد اجتمع الناس اليها من كل موضع وشاع ذلك بمصر ، وقال بعضهم لبعض: امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربي ، وبين اليهودي، فلما كان عند صلاة المغرب انحصر اليهودي، وانقطع عن الحجة، وظهر عليه محمد بن سحنون بالدلائل الواضحة والحجة البالغة . فلما تبين لليهودي الحق بالبرهان ، وأراد الله عز وجل هدايتـــه ، قال عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ! » ، فأسلم وحسن إسلامه . « فكبر الناس عند ذلك ، وعلت أصواتهم بالتكبير وقالوا : أسلم اليهودي على يدي الفقيه المغربي »[١٤] فخرج محمد من هذه المناظرة وهـو يمسح العرق عن جبينه ووجهه ، وقال لصاحبه : « لاجزاك الله خيراً كاد أن تجري على يديك فتنة عظيمة»[١٥] ولامه لوما عنيفا ، وقال له : « كيف تأتي إلى رجل يهودي تناظره وأنت ضعيف المناظرة والجدال ؟ فإذا رأى من أراد الله عز وجل فتنته ، هذا الذى كان يهوديا قد غلبك واستظهر عليك بباطله ، أدخلت عليه الفتنة ، وداخله الشك في دينه . فلا تكن لك عودة لمثل هذا، وتب إلى الله — عز وجل — من ذلك. ولولا أني خفت الفتنة على الناس أن يداخلهم شك في دينهم ما ناظرته »[١٦].

وعندما نزل محمد بن سحنون بمصر استقبله اعلام الفقهاء والعلماء ، ومن بينهم أبو رجاء بن أشهب بن عبد العزيز الذي ترجاه أن ينزل عنده ففعل . ولما جلس من الغد، بجامع عمرو في الفسطاط، أتاه علماء مصر يسلمون عليه وقد حلقوا عليه وسألوه، تذكر من أعلامهم المزني صاحب الامام الشافعي الذي أطال الجلوس معه ليخلو به . « فلما خرج المزني قدمت إليه دابته ليركب ،فقيل له : « كيف رأيته ؟ قال: لم ار

---

١٢ ـ رياض النفوس : ١/٣٥١ .
١٣ ـ وفي معالم الايمان والمدارك تختلف الرواية بزيادة « حتى مطلع الفجر » . انظر معالم الايمان : ٢/٨١ ، والمدارك ، ص ١٨١ .
١٤ ـ رياض النفوس : ١/٣٥٢ .
١٥ ـ المدارك ، ص : ١٨١ ، ورياض النفوس ، نفس الصفحة السابقة الذكر .
١٦ ـ رياض النفوس : ١/٣٥٢ .

ـ والله ـ أعلم منه ولا أحدٌ ذهنا . »[17] واضاف الدباغ وعيّاض : « على حداثة سنه وكان اذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة »[18] وكتب ـ آنذاك ـ كتابي الامامة بمصر ، بماء الذهب وأهداهما إلى الخليفة.[19]

ومن الذين أخذ عنهم سحنون في مصر ، عبد الرحمن ابن القاسم خاصة ، وابن وهب ، واشهب ، وابن عبد الحكم ، وشعيب بن الليث ، ويوسف بن عمر . . . .
وبعد إقامته الطيبة في مصر ، قصد محمد بن سحنون الجزيرة العربية لاداء فريضة الحج . ولما وصل المدينة المنورة ودخل مسجدالنبي ﷺ ، وجد جماعة عظيمة وهي محلقة على أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري وكان متكئا لشيخوخته والطلبة من حوله يتنازعون و يتناقشون في مسألة هامة من مسائل « أمهات الاولاد » فما كان من محمد بن سحنون، إلا أن نبههم إلى جزئية تتعلق بتلك المسألة . عندها استوى الشيخ أبو مصعب جالسا وقررها ، فزاد محمد مسألة أخرى ، فالتفت ، عندئذ أبو مصعب الزهري اليه وسأله :

ـ من أي بلاد أنت ؟

ـ « فأجاب محمد » من افريقية .

ـ « قال مصعب » : من أى بلدة منها ؟

ـ « أجاب محمد » : من القيروان .

فعقب أبو مصعب على إجابة محمد بن سحنون قائلا: ينبغي أن تكون أحد الرجلين : إما محمد بن سحنون ، وإما محمد بن لبدة ابن أخي سحنون لأن هـذا « التنكيت » لايكون إلا من اهل دار سحنون . ذاك عرفه محمد بنفسه فقام اليه الزهرى مصافحا مرحبا ، وخرجا من ثم من المسجد معا ، وكان محمد بن سحنون يملي على الشيخ مصعب بالطريق ، و الشيخ ، بدوره ، يكتب بما يملي عليه . ويروى أن محمد بن سحنون نزل ضيفا على أبي مصعب مدة إقامته بالمدينة .[20] ولقي في المدينة ، من

---

17 ـ المصدر السابق • ص : ٣٤٦ ، ومعالم الايمان : ٨١/٢ والمدارك ، ص ١٧٥ •

18 ـ معالم الايمان ، نفس الجزء ونفس الصفحة المذكورة سابقا • المدارك ، نفس الصفحة •

19 ـ رياض النفوس : ٣٤٦/١ ، والمدارك ، ص : ١٧٥ •

20 ـ انظر تفاصيل هذه الرواية في :
ـ معالم الايمان : ٨١/٢ ، ٨٢ •
ـ المدارك • ص : ١٨٤ •

رواة الحديث واصحاب مالك ، زيادة عن الزهرى شبة بن شيب النيسابوري ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ، كما أخذ عن عبد الله بن عبد الله بن نافع ، و أنس بن عياض ، وابن الماجشون . . . . (٢١) وغيرهم .

وغني عن القول ، ان هذه الرحلة المشرقية كان لها أثر لا يضاهى في حياة الشيخ محمد بن سحنون ، الدينية والعلمية ، فرجع بعدها الى العاصمة الافريقية مزودا بتجربة غنية ، وعلم غزير ، ليشع به لا في افريقية فحسب ، بل في المغرب كله .

صفاته وعلمه :

قال صاحب رياض النفوس ، بأن محمد بن سحنون قد « انتشرت إمامته في حياة والده،وأدرك من جميع العلوم، ما لم يدركه غيره من اهل عصره ، وكانت له حلقة غير حلقة أبيه » (٢٢) .

ونقل صاحب معالم الايمان والمدارك ، عن أبي العرب وابن حارث ، الروايتين التاليتين : (٢٣) « قال أبو العرب : وكان إماما في الفقه ، ثقة ، وكان عالما بالآثار ، صحيح الكتاب ، لم يكن في عصره احذق منه فيما علمت » . قال ابن حارث : « كان عالما فقيها مبرزا متصرفا في الفقه ، والنظر ، ومعرفة اختلاف الناس، والرد على اهل الأهواء ، والذب عن منهب مالك ، وكان قد فتح له باب التأليف ، وجلس مجلس أبيه بعد موته . » .قال ابن سحنون :« دخل علي أبي وانا أؤلف كتاب تحريم النبيذ فقال : «يابني إنك ترد على أهل العراق ولهم لطافة أذهان ، وألسنة حداد ، فإياك أن يسبقك قلمك لما تعتذر منه » . (٢٤)

وأخبرنا صاحب رياض النفوس، ومؤلف معالم الايمان ، نقلا عن أبي بكر بن اللباد (٢٥) : «إن محمد بن سحنون أتى بعد موت أبيه هو وأصحابه زائرا الى عبد

---

٢١ ـ معالم الايمان : ٢/٧٩ .
٢٢ ـ رياض النفوس : ص : ٣٤٥ .
٢٣ ـ معالم الايمان : ٢/٧٩ .
ـ المدارك : ص : ١٧٠ .
٢٤ ـ المدارك ° ص : ١٨٤ .
٢٥ ـ رياض النفوس : ١/٣٤٦ ، ٣٤٧ .
ـ معالم الايمان : ٢/٨٢ ، ٨٣ .
ـ المدارك ° ص : ١٧٤ .

الرحيم بن عبد ربه المتعبد الزاهد ، . . . بقصر زياد الزاهد فسلم عليه ، فرد عليه السلام وتركه يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولم يقبل عليه حتى انصرف . » فلما كانت الجمعة الموالية استنهض محمد بن سحنون أصحابه لزيارة عبد الرحيم بن عبد ربه ، ثانية . فقالوا له : « رأيناه لم يقبل عليك ولا رحب بك ، فكيف تعود إليه بعد هذا ؟» فقال : ليس هذا بغيتي ، هو رجل صالح ترجى بركته وبركة دعائه ، وكان والدي – رحمه الله تعالى – يأتيه ويتبرك بدعائه ويلتجىء اليه عند مهات الأمور » ، فعاد ابن سحنون وأصحابه هذه المرة ، لزيارة عبد الرحيم ، فلما رآه قام على رجليه ، ورحب به وأجلسه في المكان المناسب . ولم يزل هكذا مقبلا عليه حتى انصرف الى حاله ، وعندما رجع الى عبد الرحيم بعض أصحاب ابن سحنون سألوه . « أصلحك الله ، رأينا منك عجبا فقال وماهو ؟ فقالوا : أتاك محمد بن سحنون ، تلك الجمعة ، فلم تقبل عليه ، ثم أتاك اليوم فأقبلت عليه . فقال عبد الرحيم ، والله ماأردت بذلك إلا الله عز وجل وقبلته لثلاثة أوجه : الأول ، أنه أتاني في تلك الجمعة ورأيت اجتماع الناس حوله ، فخفت إن أنا أقبلت عليه ، الفتنة ، فعملت ماعملت لصلاح حاله . الثاني : لأجربه فإن والده كان يعتقدني ويزورني فقلت : لاأقبل عليه حتى أرى هل يرجع الي أم لا . فان رجع إلي علمت أن اعتقاده مثل اعتقاد والده . الثالث ، رأيت في منامي ، في الليلة المقبلة ، من تلك الجمعة التي لم نقبل عليه فيها ، قائلا يقول لي : مالك لم تقبل على محمد بن سحنون وهو ممن يخشى الله عز وجل ؟ » ففعلت هكذا كما رأيتم .

فإلى جانب علمه الغزير ، كان محمد بن سحنون يتحلى بأخلاقية سامية « وكان عنده من العفو والصفح عمن قصده بأذى ، أمر كبير ، وسياسة حسنة ، ومعرفة كيف يلقى الحوادث ، وكيف يصرف الأمور » . (٢٦)

وقد روى لنا المالكي (٢٧) موعظة كتب بها محمد بن سحنون إلى بعض أمراء بني الأغلب وهو يقول فيها : « أما بعد ، فاني أوصيك ونفسي بتقوى الذي بطاعته معالي الأمور ، وارتقي إلى شرفها . وأول ما آمرك به ، النظر لنفسك ومعادك الذي تصير

٢٦ ـ رياض النفوس : ٣٥٢/١ ، وما بعدها .
٢٧ ـ نفس المرجع السابق : ص : ٣٤٨ .

اليه ، فلا دنيا لمن لا آخرة له ، وبحسن المنقلب يغبط المرء . فانظر لنفسك وخذ بعنانها واحبسها في كل أمر تنازعك اليه ، فعن قليل تذهب الدنيا وتأتي الآخرة ، فلا ينفع نفساً الا ما قدمت ، ولا يسوؤها الا ما عملت ، وقد كان يقال : ان خير الخلطاء وأنفع الاخلاء المرشدون في المضلات ، المذكرون في الغفلات ، فأذكرك يوماً هو منك قريب ، تنزل فيه بساحتك ملائكة الرحمن ، وقد اسلمك الأهل والولدان ، تعطي حيث لا يقبل منك ، مسلوباً منك ما في يدك ، مودعاً في بطن الارض ثم بعد ذلك الطامة الكبرى ، يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، ثم ينشر لك كتاب فيه من عملك مثاقيل الذر والخردل ، فانظر كيف أنت عند ذلك ، وقد قلدت امراً عظيماً لكل الخلق فيك نصيب ، قد اشترك فيك العدو والصديق ، فخلص نفسك من والقها بأن تملأ الارض عدلاً كما أمرك الله سبحانه .

واعلم أن الذي ملكك امر عدوك ، وأدال لك عليه ، وأذله بين يديك ، هو الله ربك وربه ، وإلهك وإلهه ، ومالكك ومالكه ، يديل الامر بينك وبينه في الدنيا ، ثم يتولى الحكم بينك وبينه يوم القيامة ، فيأخذ منك له مثاقيل الذر والخردل فانظر ، رحمك الله ، وإيانا ، لنفسك نظر من يموت غداً ، ثم يحاسب بجميع ما قدم ، ولا تملك نفسك عنانها ، وتمهل في امرك وآثر الله عز وجل ، عند غضبك ، واعمل في ذلك ، وكل امرك بما يرضي الله سبحانه ، فانه يرضى عنك ، وآثر رضى الله عز وجل ، على رضى عباده ، ولا ترضي عباد الله بسخطه ، فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وأنزل كتابي هذا منك بمنزلة من مرض ابوه فهو يسقيه من الدواء ما يكره رجاء منفعته ، وهو به بار وعليه شفيق ، والسلام عليك ، ورحمة الله ، وبركاته » .

وهناك قصتان غريبتان جداً نذكرهما بكل تحفظ ودهشة :

الاولى :

يعلق الرواة على ان هذه القصة تبرز حلم وصفح محمد بن سحنون ، وسياسته في تلقي الحوادث ، وفي تصريف الامور . روى لنا المالكي ؛ عن الشيخ ابي الحسن علي بن القابسي ؛ عن عيسي بن مسكين ما يلي :

« كان العراقيون قد استعملوا رجلاً يسب محمد بن سحنون ، وكانوا يصلونه على

ذلك . فكان ذلك الرجل ـ إذا لقي محمداً مخلياً ، سبه علانية ، فإذا لقيه في أصحابه ، سبه سراً في أذنه ، وفي كل ذلك ، لا يرد عليه محمد سباً ، صبراً منه على الأذى رجاء لثواب الله عز وجل . فأتاه يوماً فوجده مع اصحابه ، فسبه في اذنه . فلما فرغ من سبه ، خاف محمد من أصحابه ان يبطشوا به ، فقال له : (...) إذا أنا تفرغت تعود إلي تقضي حاجتك إن شاء الله ، وأوهم الحاضرين ، انه إنما سأله في حاجـة . فبلغ ذلك العراقيين وقيل لهم : « أظننتم ان فلاناً يسب محمد بن سحنون وهو إنمـا حادثه في اذنه وسأله حاجة ؟ » فاتفقوا على قطع صلته ، فضاع الرجال ، وضـاع اهله ، وعياله ، ووصل إليهم الضرر فشكا ما نزل به إلى بعض الصالحين فقال : « إن فعلت ما امرك به حسنت عاقبتك وعاقبة أهلك في الدنيا والآخرة فقال : « وما هو ؟ » قال : « عليك بصاحبك الذي كنت تسبه » فاطلعه على امرك » فقبل نصيحته ، ومضى إلى محمد بن سحنون فوجده في مجلسه والناس حوله ، فأصغى إليه بأذنه على العادة فقال له : اصلحك الله ، ما جئت لهذا ، وإنما جئت تائباً منيباً مما كان مني إليك ، فقال له : « اجلس » فجلس . فلما انقضى المجلس « اخذ بيده » ومضى الى داره ، ودفع إليه صرة فيها عشرون ديناراً عينا ، وقال له : اتسع بهذه إلى حين يلطف الله عز وجل لنا » . ثم كتب محمد بن سحنون « ثلاثين كتاباً » إلى ثلاثين رجلاً مياسير من اصحابه بالساحل ، يسأل كل واحد منهم في شراء جارية وتوجيهها إليه ؟ فوصل إليه ثلاثون جارية في مدة يسيرة ، فأمر ببيع خمس منهن ، وكسا بثمنهن الخمس والعشرين الباقيات ، وحلاهن ، واجلسهن صفاً واحـداً ، ثم احضر الرجل العراقي (الذي يسمى عبد الله بن ابي الحواجب) . فلما دخل اقبل عليه ، وقال له : « ما ابطأ بك عنا اصلحك الله ؟ » . فقال : استحياء منك لما سلف من قبيح فعلي ، وسوء لفظي ، وعظيم احسانك إلي ، ثم دفع اليه ابن سحنون بالجواري ، وخرج من داره بخمس وعشرين جارية » . وعلق الراوي عيسى بن مسكين عـلى ذلك ، « وقد فعل محمد ذلك امتثالاً لقول الله عز وجل : « ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وقوله عز وجل : « وما يلقاهـا إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » [٢٨] .

هذه القصة الغريبة ، ذكرها أيضاً ، الدباغ في معالم الايمـان [٢٩] بشيء من

٢٨ ـ رياض النفوس : ٣٥٣/١ وما بعدها . و معالم الايمان : ٨٣/٢ .
٢٩ ـ المصدر السابق .

التفصيل ، إن الرجل الذي كان يسرّ في اذن محمد بن سحنون ، هو ، عبد الله بن ابي الحواجب ، وانه كان على مذهب أهل العراق الذين يقولون بخلق القرآن ... لكن جميع المصادر لا تذكر لنا ، بالضبط ، ماذا كان يسر عبد الله بن ابي الحواجب في اذن محمد بن سحنون ؟ نعم كان يشتمه وكان يسبه ... لكـــن ، ماذا كان يقول له بالضبط ؟ ثم ما هي المبالغات والإمعان في الحلم ؟ وهل ينطبق سلوك محمد بن سحنون فعلا .. على قوله تعالى: « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عـداوة كأنه وليّ حميم » ؟ ثم ما هذا الترف « دنانير وجوار » والمبالغة في إغـــداق النعم التي لا تصدر إلا عن الحكام والولاة الغارقين في ملاذ الحياة الدنيا ..؟ تلك هي تساؤلاتنا « ولله غيب السماوات والارض ، وإليه يرجع الأمر كله »[٣٠] .

الثانية :

أما القصة الثانية ، فقد رواها المالكي ، ونقلها عنه القاضي أبو الفضل عيّاض ، كما رواها ، أيضاً ، الدباغ ، وهي تبرز مدى انقطاع محمد بن سحنون للتأليف والبحث : ذكر عنه « أنه كانت له تسعة أمرة ، لكل سرير سرية « جارية » وكانت له سرية يقال لها أم مدام،فكان عندها يوماً من الأيام فقال لها :؟ « ما عندك الليلة يا أم مدام ؟ فقالت زوج فراخ ، فقال لها : اصنعيها لنا الليلة »[٣١] ففعلت وقـــد « شغل في تأليف كتاب »[٣٢] ليرد فيه « على بعض المخالفين ، فاشتغل في ذلك إلى الليل . فلما حضر الطعام ، استأذنته فقال لها : انا مشغول الساعة ، فلما طال ذلك عليها ، اقبلت تلقمه الطعام، إلى ان أتى على الفرخين ثم تمادى فيما هو فيه ، إلى ان أذن في الجامع لصلاة الصبح »[٣٣] .فقال لها : « شغلنا عنك الليلة ، هات ما عندك ،فقالت : قد ـ والله ـ يا سيدي ـ ألقمته لك . فقال لها : ما شعرت بذلك »[٣٤] . ويزيـــد المالكي : « لشغله وتعلق قلبه ، بما كان فيـه من التأليف »[٣٥] .

إن هذه القصة ، على غرابتها تدل على مدى انقلات محمد بن سحنون من ابعاده

٣٠ ــ هود · ١٢٣/١١ ·
٣١ ــ رياض النفوس : ٣٤٩/١ ·
٣٢ ــ المدارك : ص· ١٨٤ ·
٣٣ ــ رياض النفوس : ٣٤٩/١ ·
٣٤ ــ المدارك ··· نفس الصفحة ·
٣٥ ــ رياض النفوس ··· نفس الصفحة ·

الدنيوية إلى الانشغال فقط بالتفكير والتأمل والكتابة ـ وهذا يحدث عادة لكثير من الباحثين والكتاب ـ ، وفي هذه القصة ، ما يدل على غرابتها أن محمد بن سحنون لولعه بالتأليف ، والرد على المخالفين ، قد فقد حتى الشعور بالحاجة إلى الطعام ، وكأنه وهو يفكر ويكتب كالمخدر الذي فقد الحساسية بالجوع وبكل ما يوجد حوله ٠

بالإضافة الى كلفه بالبحث والتأليف ، كان محمد بن سحنون مواظباً على التدريس ، وبث العلم بجامع عقبة وبداره ، خاصة بعد ان توفي والده في رجب سنة ٢٤٠ هجرية ، إذ تصدر لإلقاء الدروس محل أبيه الراحل ، واصبحت القيروان ـ آنذاك ـ مقصد الطلاب من كل حدب وصوب .

٦ـ تآليفه وشهرته العلمية :

عن معاصره القاضي ، عيسى بن مسكين قال: « خير من رأيت محمد بن سحنون ، كان جامعاً للخصال من الخير ، منها : العلم والورع ومعرفة الأثر وكثرة الايثار والتفقد للاخوان » . وقال أيضاً : « ما رأيت بعد سحنون مثل ابيه » [٣٧] .

ولما تصفح محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كتاباً من كتب محمد بن سحنون قال : « هذا كتاب رجل سبح في العلم سبحاً » [٣٨] .

أما الطبيب احمد بن الجزار فقال : « كان ابن سحنون إمام عصره في مذهب اهل المدينة بالمغرب ، جامعاً لخلال قل ما اجتمعت في غيره من الفقه البارع ، والعلم بالاثر ، والجدل ، والحديث والذب عن مذهب اهل الحجاز ، سمحاً باله ، كريماً في معاشرته ، نفاعاً للناس ، مطاعاً ، جواداً باله وجاهه ، وجيهاً عند الملوك والعامة جيد النظر في الملمات » [٣٩] .

كان محمد بن سحنون من اكثر اهل زمانه تأليفاً . وهذا بشهادة معاصريه من المؤرخين : قال ابن الحارث [٤٠] : كان كثير الوضع للكتب ، غزير التأليف .

---

٣٧ ـ معالم الايمان : ٢/٧٩ ٠

٣٨ ـ المدارك : ص : ١٧٢ ٠

٣٩ ـ المرجع السابق : ص : ١٧٣ ٠

٤٠ ـ طبقات علماء افريقية : ص : ١٢٩ ٠

وقال المالكي : [41] : ألف في جميع فنون العلم كتباً كثيرة تنتهي إلى المائتي كتاب . ويمكن حصر اسماء مؤلفات محمد بن سحنون ، معتمدين في ذلك على كتب التاريخ والتراجم والجاميع الفقية . إلا ان صاحب المدارك [42] يعتبر من الذين أطالوا في ذكر مؤلفات ابن سحنون وهي على سبيل المثال :

١ ـ كتاب « الجامع » وهو أكبر تصانيفه جمع فيه فنوناً شتى يخرج في أكثرمن مائة جزء ، منها ٢٠ في السير ، و ٢٥ في الأمثال ، و ١٠ في أدب القضاء ، و ٥٠ في الفرائض ، و ٨ في التاريخ وطبقات الرجال... وهو عبارة عن موسوعة شاملة للعلوم الرائجة في عصره .

٢ ـ « المسند » في الحديث ، وهو كبير
٣ ـ تحريم المسكر .
٤ ـ « الإمامة » . قال القاضي عيسى بن مسكين :

« لما وصل كتاب الإمامة الذي ألفه محمد بن سحنون إلى بغداد كتب بالذهب وأهدي إلى الخليفة » [43] .

٥ ـ « مسائل الجهاد » في ٢٠ جزءاً .
٦ ـ تفسير الموطأ ، ٤ أجزاء .
٧ ـ الرد على أهل البدع .
٨ ـ كتاب « التاريخ » : ٦ أجزاء .
٩ ـ طبقات العلماء ، ٧ أجزاء .
١٠ ـ كتاب الاشربة وغريب الحديث : ٣ أجزاء .
١١ ـ كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك .
١٢ ـ الحجة على القدرية .
١٣ ـ الحجة على النصارى .
١٤ ـ الرد على الفكرية .
١٥ ـ ما يجب على المتناظرين من حسن الادب : جزءان .

---

(٤١) رياض النفوس : ١ : ٣٤٥ .
(٤٢) المدارك : ص : ١٧٣ .
٤٣ ـ انظر تلك الرواية في المعالم: ٢ : ٨٢ وفي رياض النفوس: ١ : ٣٤٦

١٦ - الورع .

١٧ - شرح أربعة كتب من مدونة سحنون .

١٨ - رسالة في معنى السنّة .

١٩ - رسالة فيمن سب النبي - ﷺ .

٢٠ - آداب القاضي .

٢١ - أحكام القرآن .

٢٢ - الإباحة .

سبق لنا ان أشرنا إلى ان المالكي قال : بأن محمد بن سحنون ألف في فنون عصره كتباً كثيرة تنتهي إلى نحو مائتي كتاب . والغالب على الظن كما اشار - إلى ذلك المرحوم حسن حسني عبد الوهاب - ان المقصود بالكتب هنا الاجزاء . وقد ذكر لنا صاحب المدارك - كما سبق لنا - عدداً ضخماً من التآليف يصعب حصرها لاختلاط الكتب بالاجزاء ، والكتب بالرسائل، وحتى الكتب لها - غالباً - اجزاء واجزاء الاجزاء . واغلب هذه التآليف مفقودة ، او مجهول محل وجودها . ويمكن ان نستثني من ذلك . كتاب آداب المعلمين الذي هو موضوع هذه الدراسة وكتاب « الاجوبة » الذي هو الآن بصدد التحقيق . [44] ويؤكد الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ان « هذا الكتاب لا نظير له في الفقه » وهو موجود بمكتبة الاسكوريال باسبانيا : ومسجل تحت عدد ١١٦٢ - ومنه ثلاث نسخ بتونس واحدة بالخزانة العاشورية رقم : ٤٢٤ من فهرسها ، والثانية ، بالمكتبة التجارية ، والثالثة بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب [45] . والملاحظ ان جميع هذه النسخ والآثار القلمية الاخرى الموجودة في المكتبات بالعاصمة وغيرها قد نقلت حديثاً إلى دار الكتب الوطنية .

٧ - وفاته والمكان الذي دفن فيه .

لا خلاف بين اصحاب الكتب التي ترجمت لمحمد بن سحنون، المالكي والدباغ وعياض

---

(٤٤) ننتظر بفارغ صبر تحقيق ونشر هذا الكتاب الهام جدا من طرف تلميذنا وزميلنا الاستاذ حامد العلاني - وهو موضوع رسالته لنيل الدكتوراة في الآداب تحت اشراف المستشرق الفرنسي لاوست - استاذ الفلسفة الاسلامية بالكوليج دي فرانس - وقد اعتمد المحقق على ثماني نسخ خطية .

(٤٥) انظر : كتاب آداب المعلمين . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب . مطبعة العرب - تونس : ١٣٥٠ هـ . ص : ١٤ .

ان عام وفاته يوافق سنة ٢٥٦ هجرية [٤٦] إذ صحت مخاوف والده سحنون من « ان يكون عمره قصيراً » حيث توفي وكان عمره اربعاً وخمسين سنة ، أي سنة ٢٥٦ هـ . ولم يذكر أحد الشهر الذي توفي فيه [٤٧] .

ويذكر لنا كل من القاضي عيـــاض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ ، ١٠٨٣ - ١١٤٩ م) والدباغ (٦٠٨ - ٦٩٩ هـ ، ١٢٠٨ - ١٣٠٠ م) تفاصيل أخرى عن وفاته . يذكر الاول أن محمد بن سحنون توفي « بالساحل ، سنة ست وخمسين ومائتين ، بعد موت أبيه بست عشرة سنة ، وجيء به إلى القيروان فدفن بها سنة اربع وخمسين ، بقربة من قبر ابيه . فهو كما يذكر لنا الدباغ « قبلة ابيه ، بينه وبين ابيه خطوات ، وعند رأسه سارية طويلة وهو مزار يعرفه الخاصة والعامة . ورثي بثلاثمائة مرثيـــة» [٤٨] (قصيدة) . ومن هنا نستنتج مدى ما وصل اليه العمران والعمارة في القيروان .

- من المرثيات قال احمد بن سليمان :

« لقد مات رأس العلم وانهد ركنــــه
وأصبح من بعد ابن سحنون ، واهيا
فمن لرواة العلم بعـــد محمـــد
لقد كان بحراً ، واسع العلم ، طاميا
ومن لرواة العلم والرأي والحجـــا
وقد اصبح المفضال في الترب ثاويا
لقد أفجع الاسلام موت محمد
واصبح منه جانب العين خاليا » [٤٩]

---

٤٦ ـ رياض النفوس : ١ / ٣٤٥ .
معالم الايمان : ٢ / ٨٨ .
المدارك : ص : ١٨٦ .

٤٧ ـ حتى التاريخ المنقوش على قبره ، بباب نافع بالقيروان ، لم يذكر شهر الوفاة، وانما ذكر السنة، مع فرق ضئيل بالنسبة لكتب التراجم اذ توفي سنة ٢٥٥ هجري وهذا يتفق مع رثاء احمد بن سليمان له اذ قال :
وقد عاش خمسا بعد خمسين حجة يحـامي عن الاسلام الا ثمانيـا

٤٨ ـ المدارك (طبعة الرباط) ٤ : ٢٢٠ و ٢٢١ ،
رياض النفوس : (١ / ٣٥٧ ـ ٣٦٠) .

٤٩ ـ معالم الايمان : ٢ / ٨٨ ، ٨٩ .

ـ ويضيف عياض لهذه الابيات لنفس الشاعر :

« بنى لك سحنون من المجد مفخراً
وأورثك العلم الذي كان حاويا
وأصبحت مخصوصاً بكل فضيلة
وشيدت ما (قد) كان شخصك بانيا
وكنت لأهل العلم حصناً وملجأً
فأصبح منك اليوم حصنك خاليا[٥٠]
وقد عاش خمساً بعد خمسين حجة
يحامي عن الاسلام الا ثمانيا
ألا فابك للاسلام إن كنت باكيا
لحبل من الاسلام أصبح واهيا
تثلّم حصن الدين وانهد ركنه
عشية أمسى في المقابر ثاويا
امام حباه الله فضلاً وحكمة
وفقّهه في الدين كهلا وناشيا
وزوّده التقوى ، وبصّره الهدى
فكان ، بلا شك، الى النور هاديا »[٥١]

ولما خرج الناس لدفنه غلقت الكتاتيب والحوانيت من أجله ، وصلى عليه الامير ابراهيم بن أحمد بن الاغلب[٥٢] ، وضرب على قبره قبة ، وضربت الاخبية حول قبره ، وأقام الناس فيها شهوراً كثيرة[٥٣] حتى قامت الاسواق والبيع والشراء حول قبره نحواً من سنة ، فخاف ، من ذلك ، ابن الاغلب ، فبعث الى

---

(٥٠) المدارك : ص : ١٨٧ .
(٥١) المرجع السابق
(٥٢) معالم الايمان : ٢ / ٨٨ .
(٥٣) عن ابي محمد بن ابي زيد « اربعة اشهر بالليل والنهار » انظر . المرجع السابق .

ابن عم سحنون المعروف بأبي لبدة ففرق الناس »[٥٤].

وعن رواية اخرى . . « فما صرفهم الا هجوم الشتاء »[٥٥].

وعن ابن اللباد أن محمد بن سحنون ترك « ابنـــاً »، وسمي محـــمداً ايضاً ، ويكنى بأبي سعيد ، له سماع من ابيه ، وغلبت عليه العبادة »[٥٦].

---

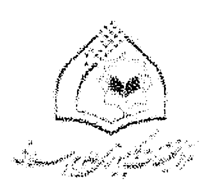
(٥٤) المدارك . ص : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ومعالم الايمان نفس المكان .

(٥٥) معالم الايمان : ٢ / ٨٩ وانظر المدارك . طبع الرباط ٤ : ٢٢٠ . ورياض النفوس : ١ / ٣٥٦ .

(٥٦) المدارك . ص : ١٨٧ .

الباب الثالث

التربية الإسلامية وكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون



كتاب آداب المعلمين

١ ـ من آثار الدارسين والمؤرخين:

من الثابت أن هذا الكتاب (كتاب آداب المعلمين) الطريف في موضوعه قد عرفه عدد من مشاهير العلماء ، قدماء ومحدثين ، ونقلوا عنه ، واستفادوا منه ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: أبا اسحاق الجبنياني، كما أورد مترجمه أبو القاسم اللبيدي[١]، وكما ذكره أبو بكر بن خير الأندلسي في فهرس مروياته وفيها من تآليف محمد بن سحنون [٢] ، وخاصة كتاب آداب المعلمين .

لقد لاحظ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، أن العلامة ابن خلدون في مقدمته ، قد نقل عن كتاب آداب المعلمين ، عندما قال ـ في باب أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ـ: «وقد قال محمد [٣] بن أبي زيد في كتابه، الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين : « لاينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا اليه على ثلاث أسواط شيئا . » [٤]

ويبدو أن ابن خلدون ، اشتبه عليه اسم المؤلف لكن لم ينسب « كتاب آداب

---

(١) انظر مقدمة : كتاب آداب المعلمين لحسن حسني عبد الوهاب ص ١٦، مناقب أبي اسحاق الجبنياني: نشره هـ٠ ادريس٠ طبع ١٩٢٩ ص٢٥٠

(٢) فهرست مرويات أبي بكر بن خير ، طبعة سرقسطة باسبانيا ـ بعناية المستعرب كوديرا سنة ١٨٩٣ ـ ص ٢٩٢ ٠

(٣) كما أورده ابن خلدون ، بدل عبدالله ، كما ذكر الاستاذ ح ٠ح عبد الوهاب ٠

(٤) ذلك هو نص ابن خلدون بالحرف الواحد : انظر المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني بيروت طبعة ١٩٦١ ٠ ص ٠ ١٠٤٣ ٠

المعلمين إلى العالم القيرواني عبد الله بن أبي زيد صاحب الرسالة »[٥] ـ كما لاحظ خطأ الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب ـ ومن المحتمل أن يكون العلامة ابن خلدون قد أخذ عن كتاب: «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي[٦] وذلك لأن ابن خلدون قد ذكر عنوان الكتاب الذي أخذعنه مما يجعلنا نعتقد انــه أقرب لكتاب أبي الحسن القابسي[٧] بالإضافه إلى أننا لم نعثر على النص الذي ذكره ابن خلدون «بحرفيته» لا في كتاب آداب المعلمين، ولا في كتاب القابسي .

أما أبو الحسن القابسي، فنجد « ان مانقله عن آداب المعلمين يكاد يكون بلفظه في بعض المواضع وباختلاف يسير في مواضع أخرى، كحذف السند عن رأي فقيه أو تغيير في العبارة دون اخلال بالمعنى . » كما أثبت ذلك الدكتور احمد فؤاد الأهواني .[٨]

ومن المحدثين الذين استفادوا من كتاب آداب المعلمين، بعد مانشر من طرف المرحوم ح . ح . عبد الوهاب، نذكر على التوالي :

أ ـ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني :

في رسالته الجامعية التي عنوانها : التربية في الاسلام أو التعليم في رأى القابسي استفاد الدكتور أحمد فؤاد الاهواني من كتاب آداب المعلمــين أيما استفادة خاصة في الطبعة الثانية « ١٩٥٥ » لهذه الرسالة الــتي نشر في ذيلها ـ رسالة محمد بن سحنون ـ كما نشرهــا المحقق الأول سنـــة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م دون زيادة في التحري والاستقصاء . فكرور بذلك جميع أخطاء التحقيق الاول فذكر كتاب آداب المعلمين، في آخر رسالته، تحقيقا للفائدة لانـه يعتبر، « أن كتاب آداب المعلمين من الرسائل النادرة في التربية (...) وقد نفذت

---

٥ ـ انظر مقدمة : كتاب آداب المعلمين لـ ح . ح . عبد الوهاب ... ص. ١٦ .

(٦) قام بتحقيقه ونشره، الدكتور احمد فؤاد الاهواني .

(٧) وليس مستحيلا ان يكون ابن خلدون قد استفـــاد من كتاب آداب المعلمين، الى جانب نقله، عن كتاب القابسي وهذا ـ على اهميتـــه المحدودة، يحتاج الى بحث خاص .

(٨) التعليم في رأي القابسي ـ دار المعارف بمصر، ١٩٦٨ ص : ٥٤ .

طبعتها منذ زمن طويل ، ولا يعرفها إلا عدد قليل . »[٩] .

ويجب أن نلاحظ أن الدكتور أحمد فؤاد الأهواني قد أعاد نشر رسالته الجامعية السالفة الذكر ، مذيلة بكتاب آداب المعلمين ، سنة ١٩٦٨[١٠] . وأكد أن « كتاب آداب المعلمين » مما دون محمد بن سحنون ـ المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ـ عن أبيه ، صغير الحجم ، يبلغ ربع كتاب القابسي او اقل ، وهو خاص بتعليم الصبيان ، اعتمد عليه القابسي كثيرا ، ونقل عنه واسترشد به ، وترسم خطاه . »[١١] وبعد الموازنة بين فهرست كل من الكتابين (آداب المعلمين ، والرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) اتضح له أن مانقله القابسي[١٢] عن محمد بن سحنون « يكاد يكون بلفظه في بعض المواضع ، وباختلاف يسير في مواضع اخرى « ... » كما أشرنا سابقا إلى « أن القابسي لم يكتف بما أخذه عن كتاب آداب المعلمين بل نقل عن الفقهاء الذين أخذ عنهم سحنون وابنه كابن القاسم وابن وهب وغيرهما » ، كما استنتج ذلك عن حق ، الدكتور الأهواني الذي أضاف إلى ذلك يقول : فاذا كان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان فللقابسي مزية التوسع في هذا الموضوع ، والاضافة في أبوابه المختلفة ، والترتيب الذي يدل على استقرار فكرة التعليم في الذهن والعمل على بيان السبل المختلفة المؤدية إلى تحقيق الغاية المنشودة منه . فالقابسي يسجل في كتابه أحوال تعليم الصبيان في القرن الرابع ، وابن سحنون يدون هذه الأحوال في القرن الثالث . »[١٣] ويعتبر الدكتور محمد أسعد طلس كتاب القابسي « من امتع الكتب التربوية ، وأفضلها ، ولعله أوسع ماأثر في الخزانة العربية من كتب التربية والتعليم . »[١٤]

---

٩ ـ انظر **مقدمة التعليم في راي القابسي** ··· دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ ·

(١٠) كرر نفس اخطاء التحقيق الاول ايضا · انظر ذلك في طبعة دار المعارف بمصر · القاهرة · ص ٣٥٣ ـ ٣٦٩ ·

(١١) **التعليم في الاسلام** : للدكتور الاهواني « طبعة ١٩٦٨ » من ٥٨ وما بعدها ·

(١٢) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي الفقيه القيرواني ، المولود في يوم الاثنين ، رجب سنة ٣٢٤ الموافق لـ : ٣١ ماي ٩٣٥ ميلادي ، وتوفي عام ٤٠٣ الموافق لعام ١٠١٢ ميلادي انظر ترجمة القابسي تفصيلا · في المرجع السابق : ص ٢١ ـ ٣٣ ·

(١٣) **المرجع السابق** : ص : ٥٩ ·

١٤ ـ انظر **التربية والتعليم في الاسلام** ··· دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٧ · ص : ١٨٧ ·

ب ـ الدكتور محمد أسعد طلس :

في رسالة لإحراز شهادة الدكتوراه ، من جامعة السوربون في باريس ، خاصة في القسم الأول منها الذي نشر للمرة الأولى ، سنة ١٩٥٧ (١٥) ، استفاد الدكتور محمد أسعد طلس كثيرا من كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون وذكره على رأس كتب التربية والتعليم عند العرب والمسلمين (١٦) ويعتبره « اقدم كتب التربيـــة العربية (...) وهو كتاب لطيف الجحم ألفه محمد ابن سحنون في سياسة الاطفال وتعليمهم وتأديبهم ، وبحث شيء من قواعد التربية وآدابها عند المسلمين(...) ومن يتصفح الكتاب يجد فية معلومات مفيدة جدا عن القواعد الأولية التي كان العرب والمسلمون بصورة عامة يتبعونها في تعليم أولادهم منذ فجر الاسلام حتى أواسط القرن الثالث للهجرة ».

وقد أثبت الدكتور طلس عنوانات فصول الكتاب ـ كما فعل الدكتـــور الأهواني ـ ليتبين القارىء الموضوعات التى تعرض اليها الكتاب ، والمعلومات التي كان المدرسون المسلمون يحرص عليها ، فيستنتج بعد ذلك أن « الكتاب (. . .) يبحث في فصول تتعلق بآداب التربية العربية ، وشيء من طرق تعليم الأطفال عند المسلمين، والمواد التي يجب عليهم ان يدرسوها، كما يبحث في شيء من آداب المعلمين والمربين ، وفي بعض المسائل العامة التى تتعلق بهذا الموضوع . وهو على الرغم من أنه سلك فيه مسلك المحدثين كتاب ممتع ،غني بالفوائد، جمع كثيرا من النصوص القيمة، التي بينت لنا كثيرا من الأوضاع التي نجهلها عن تربيه الطفل ، وتأديبه ، وتعلميه وتهذيبه في فجر الإسلام وعصر بني أمية وأوائل العصر العباسي. والكتاب قد أزاح لنا الستار عن معلومات كنا نعتقد أنها لابد كانت موجودة لدى المسلمين ولكننا نجهل تفصيلها فاذا بابن سحنون يرويها لنا عن أبيه عن شيخه الامام مالك إمام المدينة ، وعن غيره من الأئمة الأعلام والشيوخ الاكابر الذين عاصروا الصحابة فعرفوا، عن كثب، طريقة التربية العربية الإسلامية »(١٧)

---

(١٥) نشرت تحت عنوان ، التربية والتعليم في الاسلام مع تحويـر في العنوان الذي سجلت به رسالة الدكتور وهو: تاريخ التربية والتعليم عند العرب انظر المرجع السابق ، ص ٥٠ ٠

(١٦) انظر المرجع السابق : خاصة ٠ ص : ١٨٢ وما يليها ٠

(١٧) المرجع السابق ٠

٢ ـ الكتاتيب وتعليم الصبيان في القرن الثالث .

في القرن الثالث هجرى خاصة ، نستطيع أن نعتبر كتاب محمد بن سحنون الأساس الذي يعتمد في ميدان تعليم الصبيان ، في القرن الثالث الهجري ، وهو مرآة للعصر الذي عاش فيه المؤلف لكننا لا نستطيع أن نعرف بالضبط العام الذى ألف فيه كتاب : آداب المعلمين ، من بين الاعوام ، الاربعة والخمسين التي عاشها المؤلف. ويعتبر من أوائل الكتب التي ألفها ، على مانظن إذا نظرنا إلى قائمة التصانيف الـــتي ذكرتها كتب التراجم .

يعتبر كتاب آداب المعلمين ، بما دون محمد بن سحنون عن أبيه ، من الكتب الرائدة في التربية والتعليم ، بل هو أقدم كتاب ، في هذا الميدان على مانعلم ، حتى كتابة هذه السطور . وقد ألفت رسائل و كتب عديدة في التربية الإسلامية ، وهي على أهميتها متأخرة عنه ، وكان له فضل السبق عليها ، ولربما يأتي كتاب أبي الحسن القابسي ـ الذي توفي سنة : (٤٠٣ / ١٠١٢ م .) ـ بعده في الأهمية . [١٨] ومن الذين لهم تأليف في هذا الميدان أيضا ابن مسكويه المؤرخ والفيلسوف «٣٢٥-٤٢١ هـ» والإمام الغزالي « ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ » ، والعلامة الزرنوجي « توفي سنة : ٥٧١ هـ » والعلامة ابن خلدون « توفي سنة : ٨٠٨ هـ » وغيرهم . [١٩]

يختص كتاب محمد بن سحنون بالبحث في شؤون التعليم المتعلقة بالصبيان فقط ، فيذكر المكان الذي يتلقون فيه العلم وهو الكتاب. يقول الامام محمد بن سحنون في رسالته « آداب المعلمين » ، عن أبيه سحنون ، عن الصحابي انس بن مالك انه قال: « إذا محت صبية الكتاب تنزيل رب العالمين بأرجلهم نبذ المعلم اسلامه خلف ظهره» . قيل لأنس ـ رضي الله عنه ـ كيف كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ قال انس : كان المؤدب له إجانة وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهراً فيصبونه فيها فيمحون به ألواحهم . وقال أنس : « ثم يحفرون له

---

(١٨) انظر : التعليم في راي القابسي للدكتور احمد فؤاد الاهواني ٠ص: ٥٦ و ٥٧ ـ « خاصة » كذلك : التربية والتعليم في الاسلام للدكتور محمد اسعد طلس ٠ ص : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ وما بعدها ٠
انظر ايضا :

(١٩) انظر : المراجع السابقة ٠

حفرة في الارض يصبون ذلك الماء فينشف » [٢٠] .

وروى أنس أيضاً عن رسول الله أنه قال : « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية ، من هذه الأمة ، فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حشد يوم القيامة مع الخائنين » [٢١] . فهذان الحديثان يدلان على أنه كان في عهد الرسول - ﷺ - وخلفائه الراشدين ، كتاتيب منتظمة ، يتعلم فيها أبناء المسلمين الاغنياء ، مع أبناء المسلمين الفقراء بصورة عامة . وأن التعليم كان مهنة وصناعة . لها أصولها ومناهجها وآدابها ، وأنه كان يقوم بها رجال اكفاء متخصصون في طرائق التعليم ، وفي تهذيب أطفال المسلمين والعناية بتنشئتهم وتهذيبهم .. ومما تجدر الاشارة إليه أنه كانت في المدينة دار تسمى « دار القرآن » وأن « بعض القراء كانوا يسكنونها ليحفظوا آي كتاب الله ويجودوا قراءته ، ويقصدهم الناس إليها فيفيدون مما عندهم من علم كتاب الله ، وما حفظوا من حروفه » [٢٢] .

قال المستشرق «ديس في دائرة المعارف الاسلامية . « ويظهر أنه قد وجدت ، منذ فجر الاسلام ، أمكنة كانوا يجتمعون فيها لاستظهار القرآن وتدارسه . ولا شك ، في أن هذه المواضع كانت كالمدارس الاولية يتعلمون فيها مبادىء القراءة وأصول الكتابة العربية ، كما يحدثنا الواحدي ، ويذكر أن عبد الله بن أم مكتوم كان يسكن دار القراء بالمدينة » [٢٣] .

ولما توسعت الفتوحات الاسلامية وسارت جيوش المسلمين ، خارج الجزيرة العربية ، برزت الكتاتيب بصورة واضحة، وتعددت في كافة المدن والعواصم والقرى التي حل الفاتحون بها ، ولا شك في أن كثرة الفتوحات ، واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وتحمس الناس الشديد للقرآن الكريم ، قد كان سبباً لبروز ظاهرة تعدد وانتشار الكتاتيب القرآنية[٢٤].

---

(٢٠) انظر : كتاب آداب المعلمين ، فيما يلي « ٢ - ١ » باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى ح ٠ ح ٠عبد الوهاب ص : ٤٣ ٠
انظر ايضا : كتاب : التعليم في نظر القابسي للدكتور الاهواني ص: ٣١٨ ٠

(٢١) انظر : آداب المعلمين - (ما جاء في العدل بين الصبيان) ٠

(٢٢) التربية والتعليم في الاسلام - انظر خاصة : الكتاتيب ومعلموها - ص ٠ ٦٦ - ٦٧ ٠

(٢٣) دائرة المعارف الاسلامية - النص الفرنسي ٢/٤٠١ ٠

(٢٤) التربية والتعليم في الاسلام للدكتور طلس : ص - ٦٨ ٠

وقد كان للمسلمين الأولين من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر فضل كبير في هذه الكتاتيب حينما انتقلوا من المناطق المفتوحة في المشرق وخراسان والمغرب ، ليعلموا أولادهم ، وابنـــاء المسلمين من اهل هاتيك الديار ، آيات كتاب الله ، وهكذا وجدت الكتاتيب بكثرة في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ودمشق والاسكندرية وحلب وغيرها من العواصم . فقد روي عن غياث بن أبي غياث لما كان طفلا في الكتاب أن الصحابي سفيان بن وهب كان يزور كتابهم ، ويلاطـف الاطفال ، ويدعو لهم بالفتوح والبركة .

وللصبي سن معينة يبدأ عندها في دخول الكتاب ، وسن ينتهي بعدها من التعلم في ذلك المكان . فالامام محمد بن سحنون وكذلك ابو الحسن القابسي لم يحددا لنا سن الدخول ، أو عدد السنين الذي يقضيها الصبي في التعليم . وقد يستنتج ذلك ، من خلال ما كتباه ، يقول الدكتور ابراهيم سلامة : « إن الطفل بعد أن يتلقى التعلم في المنزل ينهب إلى الكتاب ، في السابعة من عمره . والحديث المتبع عند المسلمين: « علموا أولادكم الصلاة إذا كانوا بني سبع ، واضربوهم عليها إذا كانوا بني عشر » ثم ذكر : « كان هذا هو الاغلب ، وهناك حالات كان الاطفال يدفعون فيهـا إلى المعلمين في سن الخامسة والسادسة» [٢٦] .

ويقول محمد بن سحنون : « وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة اذا كانوا بـــني سبع سنين ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر » . وكذلك قال مالك [٢٧] .

ونص الحديث كما اخرجه ابو داود : « مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبنـــاء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم ابناء عشر » ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . ويرى الدكتور الاهواني أن ضرب الأولاد على الصلاة اذا كانوا بني سبع سنين لا يعني ان سن التعليم تبدأ منذ ذلك الوقت ، اذ يجتهد البـــاحث على ترجيح هذه السن دون غيرهـــا ويرجح ان سن ابتداء الدراسة في الكتاب لم تكن

---

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية (النص الفرنسي) : ٣ / ٤١١ .
انظر تفاصيل عن تطور الكتاتيب في عهد بني امية وبني العباس في كتاب : التربية والتعليم في الاسلام للدكتور طلس ص : ٦٦ ــ ٩٣ .

(٢٧) نقلا عن كتاب التربية في الاسلام ــ للدكتور الاهواني ، طبعـــة ١٩٦٨ ، ص ــ ٥٩ .

محددة ، وانما كانت تشمل مرحلة بين الخامسة والسابعة ، وذلك تبعا لاختلاف نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتمييز » [٢٨] جاء عن محمد بن سحنون : « وسئل مالك عن عن تعليم الصبيان في المسجد . قال : لاأرى ذلك يجوز ، لانهم لايتنظفون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم . [٢٩]

ويرى الدكتور الأهواني أن الطفل الذي لايتحفظ مـــن النجاسة ، ولا يستطيع حسن التصرف هو طفل دون السابعة في الغالب . والواقع أنه ليس هناك سن محددة يبدأ عندها الطفل في التعليم، وانما الأمر يبقى متروكا لتقدير آباء الصبيان؛ فإن وجدوا أن الطفل بدأ يميز ويدرك ، دفعوا به إلى الكتاب . »[٣٠]

عن أبي بكر بن العربي قال : وللقوم في التعليم سيرة بديعة ، وهو أن الصغير منهم، إذا عقل، بعثوه إلى المكتب». [٣١] ويذكر الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب ، دون النص على المراجع التى اهتدى بها مايلي : « اذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر ، ساقه أبوه إلى الكتاب ». [٣٢]

ولا فائدة من عرض ماورد في كتاب آداب المعلمين من المسائل والقواعد التي تربط المعلمين بالمتعلمين والعكس وانما نترك ذلك تشويقا للقارىء ، الذى سيرى بنفسه ، ويتأمـــل محتوى هذا الكتاب الرائد ، مقتصرين فقط على إيراد الأبواب الكبرى أوالمسائل الاساسية التي يتضمنها وهي :

١)ــ ماجاء في تعليم القرآن العزيز .

٢)ــ ماجاء في العدل بين الصبيان .

---

(٢٨) عن كتاب آداب المعلمين « صفحة (٤ ــ ١) مخطوط » .

(٢٩) المرجع السابق . ص ــ ٦٠ .

(٣٠) كتاب المعلمين « صفحة (٤ ــ ١) » .
رواه ايضا أبو الحسن بلفظه تقريبا عن محمد بن سحنون .
انظر : المرجع السابق . ص ــ ٣٢٤ .

(٣١) المرجع السابق : التربية في الاسلام (ط . ١٩٦٨) ص ــ ٦٠ .

(٣٢) كتاب أحكام القرآن لابي بكر بن العربي ، مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ ــ ج ص ــ ٢٩١ .

(٣٢) آداب المعلمين ، المقدمة ، ص : ٣١ ــ انظر تفاصيل عن الكتـــاتيب بافريقية : (ظهور الكتاتيب في افريقية ــ تعليم البنات ــ طريقـــة التعليم في الكتاب ، انتخاب المعلمين ــ واجبات المعلمين...). في المقدمة لـ . ح . ح . عبد الوهاب : تح . ص . ٣١ وما بعدها .

٣)– باب مايكره محوه من ذكر الله . . . .

٤)– ماجاء في الأدب ومايجوز من ذلك ومالايجوز .

٥)– ماجاء في الختم وما يجب في ذلك المعلم .

٦)– ماجاء في القضاء بعطية العيد .

٧)– مايجب على المعلم من لزوم الصبيان .

٨)– ماجاء في إجارة المعلم ومتى تجب .

٩)– ماجاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وماشابهها .

٣ – قدماء المعلمين في القرن الثالث الهجري :

نذكر على سبيل المثال :

أ) – الأمير القاضي «اسد بن الفرات بن سنان» كان علم افريقية واميرها. اتخذ التعليم في حياته صناعة ، وكان يقيم في بعض قرى بجردة (وادي مجردة الآن) من أعمال تونس . ثم ترك التعليم ورحل إلى المشرق لطلب العلم ، فأخذ عن بعض أئمة الحجاز ، وسمع من مالك بن انس موطأه . ثم دخل العراق فلقي ابا يوسف ومحمد ابن الحسن وغيرهما من اصحاب ابي حنيفة النعمان ثم عاد إلى افريقية حيث عظم شأنه ، وتولى قضاء القيروان على عهد الامير زيادة الله الأول سنة ٢٠٤ هـ . إلى ان خرج ، على رأس الجيش إلى غزو جزيرة صقلية . وحل مع الجيش الاغلبي بصقلية ، وكان النصر حليفه ، فقتح منها قلاعا كثيرة واستشهد – رحمه الله – وهو محاصر لسرقوسة (قاعدة البلاد) سنة : ٢١٣ هـ . (٣٤)

ب) – القارىء المشهور «حسنون» ، المعروف بابن زبيبة الذباغ ، توفي في أواسط المائة الثالثة». كان من العلماء الصالحين ، تلقى قراءة القرآن عن أئمة شيوخ عصره، كان من معاصري ابن سحنون وقد ذاع صيته فقصده الناس لتلقي العلم عنه وتلاوة القرآن

---

(٣٤) عن اسد بن الفرات انظر مثلا :
طبقات علماء افريقية : (٨١ و ٨٣) .
رياض النفوس : ١ / ١٧٢ ، ١٨٩ .
معالم الايمان : ٢ / ٢ ، ١٧ .
الديباج : ٩٨ .

وله أخبار كثيرة .[٣٥]

ج) ـ الامام العلامة ابو عبيد القاسم بن سلام الأزدي مولاهم «توفي سنة ٢٢٤هـ»، اصله من خراسان نشأ نشأة اسلامية عربية، عميقة الجذور في الثقافة العربية خاصة واتخذ التعليم اول حرفةله اول امره ، فأفاد كثيرا ، ثم تولى القضاء ، وكان بارعا في الحديث والفقه والأدب ، منقطعا لعبد الله بن طاهر ، وله آثار جليلة .[٣٦]

د) ـ الداعية الشيعي « ابو عبد الله الصنعاني » من أصل يمني (صنعاء اليمن) ، كان معروفاً بعلمه وذكائه وفصاحته ودهائه ، بارعاً في علوم العربية والجدليـــات . ابتدأ ، في بادىء الأمر ، معلم صبيان ، بافريقية ، حتى انتخبته الشيعة ليكون داعياً إلى المغرب مبشراً بمذهبهم الذي يقوم على تفضيل آل البيت وحقهم في الامامـة ... وقد نجح نجاحات كبيرة ، إذ ساعد على قيام ملكهم في المغرب ثم في مصر . فبوأه عبيد الله المهدي مكانة عظيمة ، إذ عينه أميراً على القيروان .

وهكذا « ابتدأ ابو عبد الله الصنعاني معلم صبيان ، وانقلب مؤسس ملك فأمير ، أي « من الحصير الى السرير » . لكن المجد لم يدم طويلاً ، اذ تغير عليـــه عبيد الله المهدي ، بعد حين ، وعجل بقتله سنة ٢٩٨ هـ[٣٧] .

---

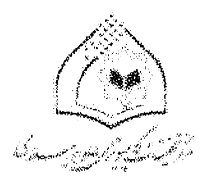
(٣٥) انظر ترجمة حسنون الدباغ المعروف بابن زبيبة في : طبقات علماء افريقية : ص : ٦٤ .

(٣٦) انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٥ ـ والتهذيب ٧ / ٣١٥ .

(٣٧) انظر ذلك بتفصيل في قح : ص ٢٢ (المقدمة لـ . ح . ح . عبـــد الوهاب) وعن أبي عبدالله الصنعاني انظر مثلا :
البيان المغرب ١ / ١٢٤ ، ١٢٩ ، الكامل لابن الاثير ٦ / ١٢٧ .
شذرات الذهب : ٢ / ٢٢٧ .

كتاب آداب المعلمين لمحمّد بن سحنون

(دراسة تحقيقيّة مقارنة)



بسم الله الرحمن الرحيم « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »[1]

ما جاء في تعليم القرآن العزيز .

« تأليف محمد بن سحنون رضي الله عنهما »[2] .

قال ابو عبد الله بن سحنون[3] : حدثني أبي سحنون ، عن عبد الله بن وهب عن سفيان الثوري ، عن علقمة « بن مرثد »[4] ؟ عن ابي عبد الرحمان السلمي ؟ عن عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « افضلكم من تعلم القرآن وعلمه »[5] . محمد ، عن ابي طاهر[6] ، عن يحيى بن حسان ،

---

١ ـ في تح · ص ٣٨ · العبارة : « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » ساقطة · انظر : الملحق ـ ١ ـ اخر هذا الكتاب ·

٢ ـ واردة في : مخ ، و خ · وغير واردة في تح · ص : ٣٨

٣ ـ تبدأ نسخة الرباط ـ (خ) ـ بهذا السند « حدثنا ابو العباس عبدالله ابن احمد ، عن فرات بن محمد قال : حدثنا محمد بن سحنون عن أبيه » ··

٤ ـ «بن مرشد» واردة في مخ و تح وساقطة من نسخة الرباط ـ (خ) ـ لكثرة البياضات والمحو فيها ·

٥ ـ روى هذا الحديث ، البخاري في جامعه ، لكن بزيادة «ان» في أوله ·

٦ ـ هو ابو طاهر أحمد بن عبدالله بن عمر بن السرح (كان السرح جده طباخا أندلسيا سكن أسيوط) محدث وفقيه مصري ، وجل روايته عن ابن وهب · غلب عليه الحديث · سمع من ابن عيينة وبشر بن بكر ، وسالم بن ميمون · روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وله شرح على موطأ مالك بن انس ·
وقد أخذ عنه محمد بن سحنون حين نزل مصر · وتوفي أبو الطاهر عام ٢٥٠هـ· انظر خاصة :
ـ ترجمة ابن القيسراني في جامعه ص : ١٤ ، والخزرجي في الخلاصة ، ص : ٩
ـ والسيوطي في حسن المحاضرة · ج١ ص : ١٢٨ · وابن حجر في التهذيب ١ / ٦٤
ـ السبكي في طبقاته · ج١ · ص : ١٩٩
ـ القاضي عياض في ترتيب المدارك ج٣ ص : ٧٧ (تحقيق الدكتور أحمد بكير) ·

عن عبد الواحد بن زياد ، عن عبد الرحمان بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال - « رسول الله ـ ﷺ ـ خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(٧) . [محمد](٨) عن يعقوب بن كاسب(٩) عن يوسف بن أبي سلمة ، عن ابيه ، عن عبد الرحمان بن هرمز ؟ عن « عبد الله بن أبي رافع »(١٠) ، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « يرفع الله بالقرآن أقواماً »(١١) .

عن سحنون ، عن « عبد الله »(١٢) بن نافع(١٣) قال : حدثني حسين بن عبدالله

---

٧ ـ رواه البخاري والترمذي واحمد بن حنبل ، وفي صحيح البخاري بلفظه ٠

٨ ـ ان محمد الموجود بين الحاصرتين اعلاه ساقط من مخ و خ ووارد في تح ٠ انظر : ص : ٣٨ ٠

٩ ـ هو يعقوب بن حميد بن كاسب ، ابو يوسف من كبار محدثي وفقهاء المدينة ٠ اخذ عنه مباشرة مؤلفنا محمد بن سحنون ٠ توفي حوالي سنة ٢٤٣هـ٠ كما في :
ـ ترتيب المدارك لعياض ٠ ج٢ ص : ٥١٣ (تحقيق د٠ احمد بكير) ٠
ـ ترتيب المدارك لعياض ٠ ج٢ ص : ٣٥٠ من مطبوعة الرباط ٠

١٠ ـ في الاصل ـ مخ ، عبدالله بن ابي رافع ، وفي ـ خ ـ عبدالله بن رافع ، والصواب ما ورد في الاصل ٠

١١ ـ روى هذا الحديث مسلم وابن ماجة ، حسب الرواية التالية :
(ان الله يرفع بهذا اقواما ، ويضع به آخرين) ٠

١٢ ـ في تح (عبدالله بن عبدالله) ، وردت في ـ خ ـ (عبدالله) بسقوط بن عبدالله ، وفي الاصل هناك اثار محو لـ : بن عبدالله ، والصواب ما اثبتناه ٠

١٣ ـ عبدالله بن نافع الصائغ المتوفى سنة ١٨٦هـ٠ هو الذي روى عنه سحنون ٠ وتذكر المصادر ان عبدالله بن نافع الصائغ هو الذي روى عن حسين بن ضميرة ٠ خلافا لما ذكر المرحوم ٠ ح٠ح٠ عبد الوهاب في هامش تح ٠ ص : ٢٩ ، حيث ترجم لعبدالله (بن عبدالله) بن نافع الزبيري ابي بكر المتوفى سنة ٢١٦هـ٠ وجعل سحنون يروي عنه٠ بينما المصادر التالية تذكر عكس ذلك ٠
انظر خاصة : الديباج : ١٢١ ، والمدارك (طبعة الرباط) ٣ : ١٢٨ و١٢٠
ـ طبقات ابن سعد ، ٥ : ٣٢٤
ـ ميزان الاعتدال للذهبي ، ٢ : ٥١٣ و٥١٤
ـ التهذيب لابن حجر ، ٦ : ٥١

ابن « ضميرة » [١٤] عن أبيه ، عن جده عن علي ـ رضي الله عنـــه ـ ان رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « عليكم بالقرآن ، فإنه ينفي النفاق كما تنفي النار خبث الحديد » .

[عن] [١٥] موسى [١٦] ، عن عبد الرحمان بن مهدي ؟ عن عبـــد الرحمان بن بديل ؟ عن أبيه ، عـــن أنس بن مالك ، قال : رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن لله أهلين من الناس . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : (هم حملة القرآن ، هم أهل الله وخاصته) [١٧] .

عن مالك ؟ عن ابن [١٨] شهاب ؟ عن عروة بن الزبير ، عـن عبد الرحمان بن عبد القاري، عن عمر بن الخطاب . قال: قال : رسول الله ـ ﷺ ـ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه »[١٩] .

١٤ـ في مخ • وردت «حمزة» بدل «ضميرة» والصحيح ما ورد في خ •• انظر المدارك : ٢ : ١٢٨
ـ ميزان الاعتدال : ١ : ٥٣٩ •

١٥ـ هناك نقص واضطراب في : خ لحديث : « ••• كل مـــن تعلم القرآن وعلمه ••• الخ» •

١٦ـ ابو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي ، من كبار فقهاء افريقيـــة وثقات رواة الحديث • رحل من افريقية الى المشرق ، كعادة رجـــال العلم المغاربة ـ آنذاك ـ سنة ١٨٤هـ• فأخذ عن كثير من علمـــــاء المدينة ، والكوفة ، والبصرة • وعاد الى القيروان ، سنة ١٨٩هـ• بعلم غزير • روى عنه سحنون ، وعامة أهـــل افريقية ، امتحنه ابن ابي الجواد قاضي القيروان • وكان معتزليا في مسألة خلق القرآن ، نذكر من بين تآليفه كتاب « الزهد » و « مواعظ الحسن محمد بـــن رشيد » •
توفي سنة ٢٢٥هـ• انظر خاصة : طبقـات ابي العرب : ص : ١٠٦ •
ـ معالم الايمان للدباغ : ج٢ ص : ٣٢ •
ـ ترتيب المدارك : ج٣ • ص : ٥ و٦ ، (مطبوعة الربـــاط : ٤ : ٩٣ و٩٦) •
ـ البيان المغرب لابن العذارى • ١ : ١٣٧

١٧ـ روى هذا الحديث النسائي وابن ماجة واحمد بن حنبل في مسنده •

١٨ـ الالف ساقطة في مخ ، خ ومثبتة في تح • ص : ٤٠

١٩ـ أورد الحديث مـــالك في الموطأ ، والبخاري ، ومسلم ، واحمد في مسنده • ومعنى : « انزل القران على سبعة أحرف» ـ كما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت هشام بن حكيـــم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها عليه ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقرأنيها فكدت ان اعجل عليه ، ثم امهلته حتى انصرف ، ثم لببته بردائه فجئت به الى رسول الله ـ صلى الله عليه ←

قال : حدثني موسى بن معاوية الصمادحي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن تميم ابن سلمة ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن بإعراب فله أجرُ شهيد » .

وحدثني ، عن الزهري احمد بن ابي بكر [٢٠] ، عن محمد بن طلحة ، عن سعيد ابن ابي سعيد المقرىء [٢١] ، عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ من: « تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه ؟ ومن تعلمه في كبره وهو يتفلت [٢٢] منه ولا يتركه فله أجره مرتين » [٢٣] .

وسلم ــ فقلت : يا رسول الله ، اني سمعت هذا ، يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقراتنيها ٠ فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اقرأ ، فقرأ القراءة التي سمعته يقراها بها ٠ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ هكذا أنزلت ، ثم قال لي : اقرأ ، فقرات فقال : « هكذا انزلت، ان هذا القرآن انزل على سبعة أحـــرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه » ٠
اما ابو الحسن القابسي فيشرح معنى :
« نزل القرآن على سبعة أحرف » ان المراد منه ، مفهوم في نصه ، اي سبع قراءات ، في كل واحدة الفاظ مخالفة لمعاني الاخرى ،فليقرأ كل امرىء بما تيسر منه هذه السبعة ٠ انظر : **التربية في الاســـلام** للدكتور الاهواني : مطبعة دار المعارف بمصر) ١٩٦٨ ٠ ص ٢٤٨ ٠

٢٠ــ احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث الزهري ، ابو مصعب ، محدث مشهور ، ولد بالمدينة سنة ١٥٠هـ٠ وتولى قضاءها ، وبها كانت وفاته في رمضان سنة ٢٤٢هـ٠ روى عن الامام مالك ، وعليه اعتمـــاده ، وعن ابراهيم بن سعد ، ويوسف بن الماجشون وغيرهم ٠ روى عنـــه غالب كبار المحدثين كالبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابي داود ، وابن ماجة وغيرهم ٠ وقد أخذ عنه ايضا الامام سحنون وابنه محمد في الحجاز ٠
انظر : **تذكرة الحفاظ** للذهبي : ٢ : ٦٦ و**الديباج المذهب** لابن فرحون ص : ٣٠ ، و**طبقات ابن سعد** : ٥ : ٣٢٦
ــ **طبقات الحفاظ** للسيوطي ٢ : ٢٠ ، **التهذيب** لابن حجر : ١ : ٢٠

٢١ــ وردت في ــ مخ ــ و ــ تح ــ «المغربي» والصحيح ما اثبتناه ٠
انظر : ــ **تهذيب التهذيب** ٤ : ١٩٥
ــ **طبقات ابن سعد** ٥ : ٣١٤
ــ **ميزان الاعتدال** ٢ : ١٢٩

٢٢ــ وردت في الاصل يتفلت ، وفي تح٠ ص ٤١ ولربما ينفلت ٠

٢٣ــ من حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ «الماهر بالقرآن مـــع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ ويتتعتع فيه وهو عليه شاق ، له اجران»٠
انظر : **صحيح مسلم** ، ٢ : ١٩٥

وحدثني موسى [٢٤] ، عن ابن وهب [٢٥] ، عن معاوية بن صالح ، عن أسد بن وداعة ، عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ في قول الله تبارك وتعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » [٢٦] قال : « كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه الله من بني آدم » .

[٢ ـ أ] /وحدثونا عن سفيان الثوري ، عن علاء بن السائب/:

قال : قال ابن [٢٧] مسعود : ثلاث لا بد للناس منهم : « لا بد للناس من امير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولا ذلك لقل [٢٨] كتاب الله ، ولا بد للناس من معلم يعلم اولادهم ويأخذ على ذلك اجراً ولولا ذلك لكان الناس اميين» .

[عن] ابن [٢٩] وهب ، عن عمر بن قيس ، عن عطاء ، انه كان يعلّم الكتب على عهد معاوية ويشترط .

[عن] ابن [٣٠] وهب ، عن ابن [٣١] جريج قال : قلت لعطاء. أآخذ الاجر عن تعليم الكتاب ؟ أعلمت ان أحداً كرهه ؟ قال : لا .

[عن] ابن [٣٢] وهب ، عن حفص بن عمر ، عن يونس ، عن ابن (،) شهاب ان سعد بن أبي وقاص [٣٣] قدم برجل من العراق يعلم ابناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر قال ابن ابي وهب : وقال مالك : « لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن وإن اشترط شيئاً كان له حلالاً جائزاً . ولا بأس بالاشتراط في ذلك . وحق الختمة

....

٢٤ـ في مخ ٠ وردت «ابو موسى» وفي خ ، بدون «ابو» وهو الصحيح
٢٥ـ بسقوط الالف (في ابن) في المخ ، وبثبوتها في تح ٠ انظر ص ٤١
٢٦ـ سورة فاطر ٠ الاية : ٣٢
٢٧ـ الالف ساقطة في مخ ٠ وفي تح وردت ابن بالالف انظر ص : ٤١
٢٨ـ في المخ وردت «لغلى» وفي تح «لقل» ٠ انظر نفس الصفحة ٠
٢٩ـ الألف ساقطة في مخ ومثبتة في تح ٠ انظر نفس الصفحة ٠
٣٠ـ الالف ساقطة في ال : مخ ومثبتة في تح ٠ انظر نفس الصفحة ٠
٣١ـ الالف ساقطة في مخ ومثبتة في تح ٠ انظر : ص : ٤١
٣٢ـ الالف ساقطة في مخ ومثبتة في تح ٠ انظر : ص : ٤١
٣٣ـ اصل السند في مخ ٠ «عن فحص بن ميسرة ، عن يونس بن شهاب ان سعد بن مالك الخ ٠٠» والصحيح ما اثبتناه ٠ انظر : مثلا : رسالة القابسي ص : ٣٠٧ والمدونة : ٤ : ٤١٩

له واجب اشترطها او لم يشترطها وعلى ذلك اهل العلم ببلدنا في المعلمين[٣٤]».

ما جاء في العدل بين الصبيان

حدثني محمد بن عبد الكريم البرقي ، قال : حدثنا احمد بن إبراهيم العمري ، قال : حدثنا آدم بن بهرام بن إياس ، عن الربيع ، عن صبيح [٣٥] عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حشر يوم القيامة مع الخائنين » [٣٦] .

عن موسى ، عن فضيل [٣٧] بن عياض ، عن ليث ، عن الحسن قال : « إذا قوطع المعلم على الاجرة فلم يعدل بينهم ـ أي الصبيان ـ كتب من الظلمة » .

باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغي أن يفعل من ذلك

حدثني محمد بن عبد الرحمان ، عن عبدالله بن سعيد [٣٨] ، عن زيد بن ربيع ، عن بشر بن حكيم ، عن سعيد بن هارون ، عن انس بن مالك ، قال : « إذا محت صبية

٣٤ـ يشير الى ما جاء في المدونة . ج : ٤ ص : ٤١٩
« ... قال ابن وهب : وسمعت مالكا يقول : لا بأس باخذ الاجر على تعليم الغلمان الكتاب والقرآن . قال : فقلت لمالك : أرأيت ان اشترط مع ماله في ذلك من الاجر شيئا معلوما كل فطر وإضحى . قال : لا بأس بذلك» .

٣٥ـ في مخ «عن الربيع ، عن صبيح» وفي ـخ ـ «عن الربيع .. صبيح» والصحيح ما اثبتناه .

٣٦ـ لقد لاحظ الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب انه (لم يعثر على هذا الحديث في المجامع المشهورة ، والغالب على الظن انه اثر من كلام انس بن مالك ، وانما زاد الناسخ من بعد قوله : عن انس بن مالك) . ويفترض انه رأى ـ اثناء مطالعاته ـ في مخطوطة «رياض الانس» في الرقائق والمواعظ من تاليف ابي سعيد الحسن بن سعيد بن علي الواعظ هذا الاثر منسوبا الى انس بن مالك ، ثم أورد بعد ذلك اثرا آخر ولم يعزه وهو قوله : « اذا قوطع المعلم اجرته فلم يعدل بين الصبيان الغني مع الفقير سواء في الاقتطاع كتب من الظلمة» .
وفعلا فان الاثر ، في مخطوطة «رياض الانس» معزو لانس بن مالك .

٣٧ـ في مخ «فضيل عن عياض» وفي ـخ ـ فضيل بن عياض
انظر : المدارك (طبعة الرباط) : ٤ : ٩٣

٣٨ـ في تح «مسعود» وفي خ «معبد» .

الكتاب (تنزيل من رب العالمين) [٣٩] من الواحهم بأرجلهم ، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره ، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه » .

قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة : ابي [٤٠] بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ؟ قال انس : « كان المؤدب له إجانة» [٤١]

وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهراً فيصبونه فيهـــا فيمحون به ألواحهم . قال أنس : « ثم يحفرون حفرة في الارض ؟ فيصبون ذلك الماء فينشف » .

قلت : أفترى[٤٢] أن يلعط؟ قال : لا بأس به . ولا يُسمح بالرّجل ؟ ويُمسح بالمنديل وما أشبهه . قلت : فما ترى فيما يكتب[٤٤] الصبيان في الكتاب من المسائل ؟ قال : أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه /[٢ ـ ب]/ برجله ولا بأس أن يمحى غير ذلك مما ليس من القرآن .

وحدثنا موسى ، عن جويبر بن منصور ، قال . كان ابراهيم النخعي يقول : من المروءة أن يُرى في ثوب الرجل وشفته مداد[٤٥] قال : وفي هذا دليل أنه لا بأس أن يلعطه يعني يلعقه[٤٦].

٣٩ـ سورة الواقعة : الآية : ٨٠ . والحاقة : الآية : ٤٣ .
٤٠ـ في مخ «ابو» ، والصحيح ما اثبتناه .
٤١ـ الاجانة والانجانة ... وافصحها اجانة ، واحدة الاجـاجين ، وهي بالفارسية اكانة . قال الجوهري : «ولا تقل ، انجانة» (لسان العرب) والاجانة قصعة تشبه المطهرة ، يتوضأ فيها عادة . وعن ابن السكيت ، هي المهراس . انظر المخصص لابن سيدة ٥/٥٨ . ويبدو ان الاجانة هي ما يسمى في تونس بالسجس الذي يصنع من الفخار ، حيث يوضع فيه الماء وسائر الموائع الاخرى .
ـ وردت في ـخ ـ «خابية» بدل اجانة .
٤٢ـ وردت في مخ . بالالف هكذا «افترا» .
٤٣ـ كذا في الاصل ، ويرى ح . ح . عبد الوهاب ان «يلعط» ربما «يلطع» اي «يلحس» . ولا يدري ان لفظ «يلعط» في النص هو تحريف مـن الناسخ أو هو من أصل المؤلف . فان كان أصليا فهو على كل حال ـ كما لاحظ الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب ـ مقلوب يلطـــــع ، حسب الصيغة الشاذة كأن تقول : معلقة بدل ملعقة .
٤٤ـ وردت في الاصل مخ : تكتب بدل يكتب .
٤٥ـ وردت في الاصل (مخ) ، مفتوحة والصحيح مداد .
٤٦ـ ورد الخبر بشيء من الخلاف في رسالة القابسي : ص : ٣١٨

ماجاء في الادب
وما يجوز من ذلك وما لا يجوز

قال : « وحدثنا عن عبد الرحمن ، عن عبيد بن اسحاق ، عن سيف[٤٧] بن محمد قال : كنت جالساً عند سعد الخفّاف فجاءه ابنه يبكي فقال : يا بني ، ما يبكيك؟ قال ضربني المعلم . قال : أما والله لأحدثنكم اليوم : حدثني عكرمة ، عن ابن[٤٨] عباس قال : قال رسول ﷺ : « شرار أمتي معلمو[٤٩] صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم ، واغلظهم على المسكين » .

قال محمد . وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب ، وليس على منافعهم . ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ، ولا يجاوز بالادب ثلاثاً الا ان يأذن الاب في اكثر من ذلك إذا آذى[٥٠] أحداً . ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة . وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً . قلت . لم وقّت عشرة في أكثر الادب في غير القرآن ، وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال : لأن عشرة غاية الادب . وكذلك سمعت مالكاً يقول . وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد »[٥١].

قال محمد . وحدثنا يعقوب بن حميد ، عن وكيع ، عن هشام بن أبي عبد الله بن أبي بكر[٥٢] : عن النبي ﷺ قال : « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر

٤٧ـ في مخ وـخـ ، «سيف» وفي تح «يوسف» . انظر : تح . ص : ٤٤

٤٨ـ بسقوط الالف في مخ وثبوتها في تح . ص : ٤٤

٤٩ـ في مخ مرسومة هكذا (معلمي) .

٥٠ـ وفي مخ مرسومة . اذا .

٥١ـ وروى هذا الحديث البخاري ومسلم ، وأحمد ، والبيهقي من طريق أبي بردة هانيء بن نيار الانصاري . ويروى : « لا يحلـه » بدل « لا يضرب » ، وقد قال ابن دقيق العيد :
« وعن بعض المالكية ان مؤدب الصبيان لا يزيد على ثلاثة ، فان زيد اقتص منه . وهذا تحديد يبعد اقامة الدليل المبين عليه » .
انظر كتاب : **الاحكام في شرح عمدة الاحكام** : ج ٤ . ص ١٣٩

٥٢ـ سند مخ «... وحدثنا يعقوب بن حميد ، عن وكيع ، عن هشام بن ابي عبدالله بن ابي بكر ، عن النبي ...» . وفي سند خ : قال : حدثنا يعقوب بن دميد ، عن وكيع ، عن هشام بن ابي عبدالله ، عن يحيى بن ابي كثير ، عن المهاجر ، عن عكرمة ، عن عبدالله عن ابي بكر ...» ، ولا ندري اي السندين اقرب للصحة ، ولذلك ابقينا على سند الاصل : (مخ) .

أن يضرب فوق عشرة أسواط إلا في حد » .

حدثنا رباح[٥٣] بن ثابت ، عن عبد الرحمان بن زياد[٥٤] عن عبـــد الرحمان الحبلي[٥٥] . قال . بلغني أن رسول الله ﷺ قال . « أدب الصبي ثلاث درر[٥٦]

٥٣ـ في مخ : «حدثنا رباح ، عن ثابت» · وفي غ : «حدثنا زياد بن ثابت » لقد ذهب الاستاذ ، ح· ح· عبد الوهاب في حاشية تح الى انـــه رباح بن يزيد بن رباح اللخمي ··· ويبدو ، على الارجح انه : رباح ابن ثابت الازدي المتوفي سنة ٢٢٧هـ وقد روى عن عبد الرحمـــان ابن زياد بن انعم المعافري ·
انظر : طبقات ابي العرب · ص : ٧٦ ـ ورياض النفوس ١/١٩٨ ومعالم الايمان ٢/٤٠ و٤١ ·

٥٤ـ عبد الرحمان بن زياد بن انعم المعافري من جلة محدثي افريقيـــة المتقدمين · ولد سنة ٩٤هـ· والجند العرب داخل الى افريقية · ونشا بالقيروان ، ورحل مرات الى الشرق في طلب العلم فروى عنجماعة من التابعين · واخذ عنه سفيان الثوري ، وابن لهيعة ، وعبدالله بن وهب ، وغيرهم من اهل افريقية ··· وتولى قضاء القيروان مرتين· وتوفي سنة ١٦١هـ· وصلى عليه الامير يزيد بن حاتم المهلبي ، ودفن بباب نافع من القيروان · وقبره معروف مشهور ·
انظر : ـ الخزرجي في الخلاصة · ص : ١٩٢
ـ ابن حجر في التهذيب : ٦/١٧٣
ـ الذهبي في الميزان : ٢/٥٦١ ، ٥٦٤ .
ـ السمعاني في الانساب ص : ٤٦ و٣٢٤
ـ ابن ناجي في المعالم : ١/١٧١ ، ١٧٧
ـ المالكي في رياض النفوس : ١/٩٦ ، ١٠٦

٥٥ـ هو عبيدالله بن يزيد المعافري ، أبو عبد الرحمان ، شهر الحبلـــي الافريقي من وجوه التابعين واعيانهم · روى عن أبي ذر الغفـــاري وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عمر بن الخطـــاب ، وابي أيوب الانصاري ، وعبدالله بن عمر بن العاص ، وغيرهم · روى عنـــه جماعة وهو احد العشرة التابعين الذين بعثهم الخليفة عمر بـــن عبد العزيز على راس المائة لتفقيه اهل افريقية في الدين فانتفعوا بـــه انتفاعا جما ، وبث في افريقية علما كثيرا · وشهد فتح الاندلس مـــع موسى بن نصير ثم استقر أخيرا في القيروان واختط بهـــــا دارا ومسجدا بناحية درب أزهر وبها كانت وفاته سنة ١٠١هـ· وقبـــره معروف ومزار · انظر خاصة :
ـ ترجمة الخزرجي في الخلاصة · ص : ١٨٥
ـ وابن حجر في التهذيب ٦ـ٨١ · والمالكي في رياض النفوس الجزء الاول : ص ٦٤ و٦٦
ـ وابن ناجي في المعالم ١٠ ـ ١٣٨

٥٦ـ جمع درة · العصا الصغيرة ·

فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة ؟ وأدب (٥٧) (الرجل زوجته ست درر ، فما زاد ضُرب به يوم القيامة ؟ وأدب الاماء في غير الحدود (٥٨) عشرة إلى خمسة عشرة فما زاد (٥٩) إلى العشرين) يضرب به يوم القيامة » (٦٠) .

قال محمد : وكذلك أرى ألا يضرب أحد عبده أكثر من عشرة ، فما زاد على ذلك قوصص به يوم القيامة إلا في حد ، الا اذا تكاثرت (٦١) عليه الذنوب فلا بأس أن يضربه (٦٢) أكثر من عشرة . وذلك إذا كان لم يعف مما تقدم . وقد أذن النبي ﷺ في أدب النساء . وروي أن ابن (٦٣) عمر رضي الله عنهما ، ضرب امرأتــه . وقال النبي ﷺ : « يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق » (٦٤) . وقد قال بعض أهل العلم : إن الأدب على قدر الذنب ، وربما جاوز الادب الحد ، منهم سعيد ابن المسيب وغيره .

ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم

[٣ - أ] وسألته متى (٦٥) تجب الحتمة ، فقال : إذا قاربها وجــاوز الثلثين ؛ فسألته عن ختمة النصف ، فقال : لا راوى (٦٦) ذلك يلزم . قال سحنون : ولا يلزم ختمة غير القرآن كله لا نصف ، ولا ثلث ، ولا ربع الا ان يتطوعوا بذلك .

٥٧ـ ان كلمة «مسلم» مضافة بعد ادب ، مقحمة في تح ٠ ص : ٤٦ وغير واردة بمخ ٠

٥٨ـ في الـ٠ مخ ، ان كلمة الحد غير موجودة ، وموجودة في تح ص : ٤٦

٥٩ـ «عدا» كلمة مضافة في تح ص : ٤٦ وغير موجودة في مخ والعبــارة في تخ هي كالتالي فما زاد عدا الى العشرين ٠٠٠)

٦٠ـ وردت بالـ: مخ ـ الجملة الاتية : (الرجل زوجته ست درر ، فما زاد يضرب به يوم القيامة ، وادب الاماء لا في غير الحدود) وساقطــة تماما من تح ص : ٤٦ ٠ وفي خ٠ سقوط اطول من ذلك ٠

٦١ـ وردت في الاصل مخ : «تكاثرت» وفي تح ٠ تكاثلت والصحيــح تكاملت ٠

٦٢ـ وردت في تح٠ ص : ٤٦ «تضربه» للمخاطب ، والصحيح ما ورد في مخ و ـ خ ٠

٦٣ـ الالف في «ابن» ساقط في مخ ٠

٦٤ـ روى هذا الحديث الترمذي عن جابر بن سمرة بزيــادة «لئن يؤدب» في اوله ٠

٦٥ـ متى ، مرسومة في الاصل هكذا : «متا» ٠

٦٦ـ ارى ، مرسومة في الاصل هكذا : «ارا» ٠

قال محمد : وحضرت لسحنون قضى[٦٧] بالختمة على رجل . وإنما ذلك على قدر يسر الرجل وعسره[٦٨] . وقيل له : اترى[٦٩] للمعلم سعة في إذنه للصبيان اليوم ونحوه ؟ فقال :[٧٠] ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه . ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا بإذن ابائهم كلهم لأنه أجير لهم .

قلت . وما أهدى[٧١] الصبي للمعلم ، أو أعطاه شيئاً فيأذن له على ذلـــك ؟ فقال . لا . إنما الاذن في الختم اليوم ونحوه ، وفي الأعيـــاد . وأما في غير ذلك فلا يجوز له إلا بإذن الآباء . قال . ومن ها هنا[٧٢] سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم إلا من عصم الله . قال . لي هذا إذا كان المعلم يعلم بأجر معلوم كل شهر أو كل سنة ، وأما إن كان على غير شرطه [٧٢] فما أعطي قبل ، وما لم يُعط لم يسأل شيئاً ، فله أن يفعل ما ساء (اذا كان أولياء الصبيان يعلمون تضييعه ، فإن شاؤوا أعطوه على ذلك وان شاؤوا لم يعطوه)[٧٣] .

ما جاء في القضاء بعطية العيد

(قلت . فعطية العيد يقضى بها . قال) . [٧٤] لا . ولا أعرف ما هي ، الا أن يتطوعوا بها . قال . ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً مـــن هدية وغير ذلك ولا يسألهم في ذلك ، فإن أهدوا إليه على ذلك فهو حرام ، إلا أن يهدوا إليه من غير مسألة ؟ إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف ؟ فإن لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك . وايضاً إن كان يهددهم في ذلك فلا يحل له ذلـــك ، أو يخليهم اذا أهدوا له فلا يحل له ذلك ، لأن التخلية داعية الى الهدية ، وهو مكروه .

٦٧ـ قضا ـ هكذا في مخ .
قال الونشريسي : وروى ان سحنونا قضى بسبعة دنانير في ختمة البقرة .
انظر : المعيار ج : ٨ ص : ١٥١ وتح ص : ٤٧

٦٨ـ اترا ، هكذا في مخ .

٦٩ـ في تح ، «قال» بسقوط الفاء .

٧٠ـ اهنا ، هكذا مرسومة في الاصل .

٧١ـ ساقطة من تح .

٧٢ـ شرطه ، مضافة للضمير ، وردت في تح . ص : ٤٧ بدون ضمير .

٧٣ـ ما بين القوسين ساقط من ح ، ووارد في مخ .

٧٤ـ ما بين القوسين ساقط من (غ) .

ما ينبغي للمعلم[٧٥] ان يخلي الصبيان فيه

قلت له : فكم ترى[٧٦] ان يأذن لهم (في الأعياد ؟ قال . الفطر يوماً واحداً . ولا بأس أن يأذن لهم)[٧٧] ثلاثة أيام ، والاضحى ثلاثة أيام . ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام .

قلت . أفيرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض ؟ قال . لا أرى[٧٨] ذلك يجوز له ، الا أن يأذن له آباؤهم أو اولياء الصبيان في ذلك، أو تكون المواضع قريبة[٧٩] لا يشتغل الصبي في ذلك . وليتعاهد الصبيان هو بنفسه في وقت انقلاب[٨٠] الصبيان ويخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا .

قال : وأحب المعلم أن لا يولي أحداً من الصبيان الضرب ، ولا يجعل لهم عريفاً منهم ، إلا أن يكون الصبي قد ختم وعرف القرآن وهو مستغن عن التعليم ، فلا بأس بذلك ، وأن يعينه فإن ذلك منفعة للصبي (ولا يحل أن يأمر احداً أن يعلم احداً منهم إلا أن يكون في ذلك منفعة للصبي)[٨١] في تخريجه أو يأذن والده في ذلك . وليل هو ذلك بنفسه أو يستأجر من يعينه إذا كان في مثل كفالته .

ما[٨٢] يجب على المعلم من لزوم الصبيان

ولا يحل للمعلم ان يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر اليهم ويتفقدهم[٨٣]

٧٥ـ للمعلم ساقطة في تح · ص ٤٨

٧٦ـ ما بين قوسين ساقط من خ ·

٧٨ـ ارا ـ هكذا في الاصل ·

٧٩ـ وردت في الاصل قريبا ، وفي خ ، قريبة وهو الصحيح ·

٨٠ـ انصراف الصبيان من الكتاب ·

٨١ـ الجيلة ما بين القوسين : (ولا يحل ان يامر احدا ان يعلم احدا منهم الا ان يكون في ذلك منفعة للصبي) ساقطة من ـ خ ـ ومن (تح ص:٤٩) ·

٨٢ـ وردت في الاصل «فيما» وفي ـ تح ـ «ما» والصحيح «ما» كما ورد في «خ» ·

٨٣ـ وردت في الاصل «يفتقدهم» وفي ـ خ ـ «يتعهدهم» ، والصحيح ما اثبتناه ، كما ورد في تح ·

قلت : فما يعمل الناس من « الأفلام »[85] عند الختم ، ومن الفاكهة يرمى بها على الناس ، هل يحل ؟ قال : لا يحل ، لأنه نهبة . وقد نهى[86] رسول الله ﷺ . عن[87] أكل طعام النهبة[88].

قال : وليلزم المعلم الاجتهاد ، وليتفرغ لهم ، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا فيما لا بد له منه ممن يلزمه النظر في امره ، لأنه أجير لا يدع عمله . ولا يتبع الجنائز ، ولا عيادة المرضى[89] .

وينبغي له أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكتب ويجعلهم يتخايرون[90] لان ذلك مما يصلحهم ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً . ولا يجاوز ثلاثاً . ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه. ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه إذا أرسل وراءه .

....

٨٥ـ وردت في مخ : «الافلام» . اما في ـخ ـ فمحل الكلمة بياض .
ـ يفترض الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب ان «افلام» ، اما ان تكون لفظا منحوتا من الحروف المفتتح بها سور القرآن الكريم مثل : سورة البقرة «الم» او هو تصحيف عن «الاعلام» . وعلى كل حال فقد بطل العمل بهذه العادة في القيروان ، وفي بقية الديار الافريقية عموما ، ولا يدري المرحوم ح . ح . عبد الوهاب ان كانت جارية في غيرها .
ـ ويرى الدكتور احمد فؤاد الاهواني (التربية في الاسلام صفحة ٣٥٩) معقبا على قوله ح . ح . عبد الوهاب ومعلقا بقوله : «... نحن لا نوافقه على ذلك . ولعلها الاغلام نسبة الى الغلام ، او الاعلام ، او الاخطار كما وردت في رسالة القابسي» .
ـ قلت : الارجح عندنا ان تكون «الأيلام» من اولم : مـخ الوليمة ، والسياق في النص يدل على ذلك ، من رمي بالفاكهة والتنافس في الاكل وهو من النهبة المنهي عنها .
٨٦ـ زها ـ هكذا في الاصل .
٨٧ـ وردت في تح «على» .
٨٨ـ الحديث قد أورده ابن الاثير في النهاية : ٤/١٩٦ مادة ذهب .
٨٩ـ المرضا ـ هكذا وردت في الاصل .
٩٠ـ كلمة غير واضحة في الاصل ولعلها «يتحايزون» وفي خ ـ «يتحايزون» وفي المطبوعة تح : «يتجاوزون» . والصحيح ما اثبتناه ، والاصلاح من غ ، ورسالة القابسي : **الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين** (التربية في الاسلام . صفحة : ٣٥٩) حيث يرى الدكتور احمد فؤاد الاهواني أنها «يتخايرون» وهي القراءة الاليق .

قلت : فهل ترى[٩١] للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو لغيره ؟ قال : اما في وقت فراغه من الصبيان فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس ، مثل أن يأذن لهم في الانقلاب ، وأما ما داموا حوله فلا . أي[٩٢] لا يجوز له ذلك . وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه إلا ما لا [٩٣] يلزمه ؟ ألا ترى أنه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم إلى بعض ، فكيف يشتغل بغيرهم ؟

قلت : فيأذن للصبي أن يكتب لأحد [٩٤] كتابا ؟ فقـــال[٩٥] . لا بأس به . وهذا مما يخرج الصبي إذا كتب الرسائل ؟ وينبغي أن يعلمهم الحساب ، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه ؟ وكذلك الشعر ؟ والغريب ؟ والعربية ؟ والخط ؟ وجميع النحو ؟ [و] هو في ذلك متطوع . وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له ؟ والشكل ، والهجاء . والخط الحسن ؟ والقراءة الحسنة ؟ والتوقيت والترتيل ، يلزمه ذلك . ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها ؟ وليس ذلك بواجب عليه .

ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقـــرأ نافع . ولا بأس إن أقرأهم لغيره اذا لم يكن مستبشعاً مثل : « يَبْشُرك » [٩٦] و« وُلْده »[٩٧] و«حِرْم على قرية » ولكن يقرئها « يُبشّرك » و « وَلَدَه » و « حَرامٌ على قرْيةٍ » [٩٨] وما

٩١ـ نزا ـ هكذا بالاصل .
٩٢ـ في تح «و» بدل اي .
٩٣ـ في تح « لما لا يلزمه » .
٩٤ـ في تح « الى احد» .
٩٥ـ في مخ «فقال» وفي تح «قال» .
٩٦ـ «يبشرك بيحيى» و«يبشرك بكلمة منه» آيتان في سورة آل عمران ، وقد قرأ حمزة والكسائي ، «يبشرك» بفتح الياء ، واسكان الموحـــدة ، وتخفيف الشين وضمها ، وقرأها البـــاقون : وهم ، نافـــع والمكي والبصري والشامي وعاصم ، بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة .
٩٧ـ « ولده ـ في سورة نوح ـ قرأها حمزة والكسائي والمكي والبصري ، بضم الواو الثانية واسكان اللام ، وقرأها الشامي ونافع وعـــاصم بفتح الواو واللام .
٩٨ـ «حرام على قرية» ـ في سورة الانبياء قرأها «حرم» كل مـــن حمزة ، والكسائي وشعبة ، بكسر الحاء واسكان الراء .
وقرأها المكي ونافع والشامي والبصري وحفص بفتح الحـــاء والراء والف بعدها .

أشبه هذا . وكل ما قرأ به أصحاب رسول الله ﷺ[99] . وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة . وليس ذلك على الصبيان . وعليه كراء[100] الحانوت وليس ذلك على الصبيان . وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ، [٤ - أ] ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس ، وعشية الاربعاء . ويأذن لهم في يوم الجمعة . وذلك سنة المعلمين منذ كانوا ، ولم يعب ذلك عليهم .

ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا . ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن، لان مالكاً قال : لا يجوز أن يقرأ بالالحان . ولا أرى[101] أن يعلمهم التحبير[102] لان ذلك داعية إلى الغناء[103] وهو مكروه، وأرى[104] أن ينهى[105] عن ذلك بأشد النهي[106].

قال : وقال سحنون : ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة فقال : بدعة . وأرى للوالي أن ينهاهم عن ذلك ويحسن ادبهم ، وليعلمهم الأدب ، فإنه من الواجب لله عليه النصيحة ، وحفظهم ورعايتهم .

وليجعل الكتب من الضحى[107] إلى وقت الانقلاب . ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم على بعض ، لأن ذلك منفعة لهم . وليتفقد إملاءهم[108]، ولا يجوز أن

---

٩٩ - وسلم ، ساقطة من تح · ص - ٥٠

١٠٠ - كراء هكذا في تح - ص - ٥١

١٠١ - ارا - هكذا بالاصل ·

١٠٢ - التحبير والحبرة في اللغة كل نغمة حسنة محسنة «تاج العروس» وفي حديث أبي موسى : «لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً» يريد تحسين الصوت وتحزينه «النهاية لابن الاثير» ج١ ص٢٢٦ وهذا هو تعليق الاستاذ ح· ح· عبد الوهاب · أما الدكتور احمد فؤاد الاهواني فهو يقرأها «التغبير» ، والمغبرة هم الذين يقراون القرآن بالحان (التربية في الاسلام صفحة ٣٦٠) ·

١٠٣ - الغنا - هكذا مرسومة في مخ ·

١٠٤ - ارا - هكذا مرسومة في مخ · وهي غير واردة في تح ·

١٠٥ - بينها - هكذا مرسومة في مخ ·

١٠٦ - «قال سحنون : قلت لابن القاسم : أكان مالك يكره الغناء ؟ فقال : كره مالك قراءة القرآن بالالحان ، فكيف لا يكره الغناء !» · (المدونة ٤ : ٤٢١) ·

١٠٧ - ضحا - هكذا مرسومة في الاصل ·

١٠٨ - إملاهم - هكذا مرسومة في الاصل · وفي تح ص : ٥١ املاءهم ·

يتعلمهم من سورة [إلى سورة][109] حتى يحفظوها بإعرابها وكتـابتها إلا ان يسهل له الآباء . فإن لم يكن لهم آباء وكان لهم اولياء او وصي ، فـإن كان دفع أجر المعلم من غير مال الصبي إنما هو من عنده ، فله ان يسهل للمعلم كما للأب[110] . وإن كان من مال الصبي يعطي الأجرة لم يجزله ان يسهل للمعلم أن يخرجه من السورة حتى يحفظها كما أعلمتك[111] ، وكذلك ان كان الاب يعطي من مال الصبي . قال : وارى ما يلزم الصبي من مؤونة المعلم في ماله إن كان له مال بمنزلة كسوته ونفقته .

قلت : فالصبي يدخل عند المعلم ، وقد قارب الختمة هل له أن يقضي له عليه [112] بالختمة وقد ترك الأول أن يطالبه ؟ فقال : إن كان اخذ عنه من الموضع الذي لا يُلزمة الختمة للأول ان لو قام مثل اكثر من الثلث من« يونس » و« هود » ونحو ذلك فالختمة لازمة له ، لأن الأول حينئذ لو قام لم يقض له بشيء . وأما إن كان دخوله عنده في وقت لو قام عليه الأول لزمته الختمة لم يقض للداخل عنده بشيء ، لأن الأول كأنه إنما تركها لأبيه أو للصبي إلا أن يتطوع لهذا بشيء. واستحسن ان ترضخ [113] لهذا بشيء استحسانا وليس بقياس .

قلت : أرأيت لو ان والده أخرجه، وقال : «لا يختم عندك» وقد قارب الختمة، وإنما كانت الأجرة على شهر ؟ فقال : أقضي عليه بالختمة . ثم لا أبالي أخرجه [114] أم تركه . قلت : فما تقول إن قـال : « ابني لا يعلم القرآن » هل تجب عليه الختمة ؟ فقال : إن قرأ الصبي القرآن في المصحف وعرف حروفه وأقام إعرابه ، وجبت للمعلم الختمة ، وان لم يقرأه ظاهراً ، لانه قل صبي يستظهر القرآن أول مرة.

---

109 ـ ما بين المعقفين غير موجود في الاصل .
110 ـ هكذا وردت في مخ ، وقد وردت «الاب» في تح . ص : 52
111 ـ هكذا وردت بالاصل . وقد وردت في تح . «كما علمت ، علمت» ، مكررة ومجردة من كاف الخطاب وهمزة المخاطب .
112 ـ عليه ساقطة في تح . ص 52
113 ـ هكذا وردت في مخ . ومعنى : ترضخ في هذا السياق هي عملية اعطاء قليل من المال على وجه العطية .
(أساس البلاغة) . ومكان «ترضخ في غ ـ بياض اما في النسخة المطبوعة تح ، فوردت «تطوع» بدل ترضخ .
114 ـ كذا بالاصل . وفي تح ص : 52 «اخرجه» .

قلت : فإن كان أخطأ في قراءة[115] المصحف ؟ فقال : ان كان الشيء اليسير والغالب عليه المعرفة فلا بأس .

قال سحنون : ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه . وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين/[٤ ـ ب]/ ويضربهم عليها اذا كانوا بنى عشرة[116] / وكذلك قال مالك حدثنا عنه عبد الرحمن ، قال : قال مالك :

يضربون عليها بنو عشر ويفرق بينهم في المضاجع[117] قلت : الذكور والإناث؟ قال : نعم . قال[118] : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة ، لأن ذلك دينهم ، وعدد ركوعها وسجودها، والقراءة فيها ، والتكبير وكيف الجلوس ، والإحرام ، والسلام ، وما يلزمهم في الصلاة ، والتشهد ، والقنوت في الصبح ، فإنه من سنة الصلاة ومن واجب حقها الذي لم يزل رسول الله ﷺ عليها ، حتى قبضه الله تعالى صلوات الله عليه ورحمته وبركاته . ثم الأئمة بعده على ذلك لم يعلم أحد[119] منهم ترك القنوت في الفجر رغبة عنه وهم الراشدون [و][120] المهديون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

....

١١٥ ـ في تح ص : ٥٢ وردت «قرآة» والصحيح «قراءة» .

١١٦ ـ بعد عشر هناك ثلاث كلمات مشطوب عليها في الاصل وهي لا تخل بسياق المعنى اذا حذفت وهي تقرأ : «ويفرق بينهم في» ويبدو أنها أقحمت اقحاما ، من طرف الناسخ (سهوا) ثم انتبه اليها فشطبها .

١١٧ ـ وعبارة المدونة هي كالتالي :
عن ابن وهب ، غير واحد ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وسبرة الجهني صاحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .
انظر : « المدونة الكبرى » ج : ١ ـ ص ـ ١٠٢ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٢٣ هـ .

١١٨ ـ في تح ـ ص ـ ٥٣ وردت كالتالي : قال سحنون ، وفي الاصل سحنون غير واردة ، ومن المحتمل ان يكون مقول القول راجعا الى الامام مالك . كما انها غير واردة في خ .

١١٩ ـ وردت في الاصل « احدا » .

١٢٠ ـ الواو غير موجودة في الاصل ـ وواردة في تح .

كلهم على ذلك ، ومن تبعهم رضي الله تعالى [١٢١] عنهم أجمعين[١٢٢].

وليتعاهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ، ويعرفهم عظمته وجلاله ليكبروا على ذلك . واذا أجدب الناس واستسقى[١٢٣] بهم الإمام فأحب للمعلم أن يخرج بهم ، من يعرف الصلاة منهم ، وليبتهلوا إلى الله بالدعاء ، ويرغبوا اليه ، فإنه بلغني أن قوم يونس ـ صلى الله على نبينا وعليه ـ لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم فتضرعوا الى الله بهم .

وينبغي له [١٢٤] أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر ، والوتر ، وصلاة العيدين ، والاستسقاء والخسوف ، حتى يعلمهم دينهم الذي تعبدهم[١٢٥] الله بـه ، وسنة نبيهم ـ ﷺ ـ .

١٢١ ـ تعالى ساقطة من تح · ص ٥٣ ·

١٢٢ ـ يشير الى ما جاء في المدونة : (ج : ١ ، ص : ١٠٣ ـ ١٠٤) (وكيع) ، عن فطر عن عطاء ان رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ قنت في الفجر · (وكيع) ، عن الحسن قال : اخبرني انس بن مالك وابو رافع انهما صليا خلف عمر الفجر فقنت بعد الركوع · (وكيع) عن سفيان عن عبد الله التغلبي ، عن ابي عبد الرحمن السلمي أن عليا كبّر حين قنت في الفجر وكبر حين ركع · (وكيع) عن سفيان ، عن حبيب بن ابي ثابت عن عبد الرحمان بن سويد الكاهلي : أن عليا قنت في الفجر : اللهم انا نستعينك ونستغفرك ، نثني عليك الخير ولا نكفرك ونخنع ونخلع ونترك من يفجرك · اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ؛ ونخشى عذابك ان عذابك بالكافرين ملحق · وأن ابا موسى الأشعري وابا بكرة وابن عباس والحسن قنتوا في الفجر ، وان عبد الرحمان بن ابي ليلى قال : القنوت في الفجر سنة ماضية ، وان ابن سيرين والربيع بن خثيم قنتا قبل الركعة · وعبيدة السلماني قبل الركوع والبراء بن عازب قبل الركوع ، وابا عبد الرحمان السلمي ·

ومن الملاحظة أن هناك خلاف واضح بين هذا النص بالمدونة وبين ما نقله الاستاذ حسني عبد الوهاب من نفس المدونة ·

١٢٣ ـ في مخ « استقى » ·

١٢٤ ـ كلمة « له » ساقطة من تح ·

١٢٥ ـ كذا في الاصل ، وفي تح الضمير « هم » ساقط ·

قال : ولا يجوز للمعلم ان يعلّم أولاد النصارى القرآن ولا الكتب[126] .
قال : وقال مالك : ولا بأس أن يكتب المعلم الكتب على غير وضوء[127] .
(ولا يمس المصحف إلا على وضوء)[128] . ولا بأس على الصبي . إذا لم يبلغ الحلم، أن يقرأ في اللوح على غير وضوء إذا كان يتعلم . وكذلك المعلم . ولا يمس الصبي المصحف إلا على وضوء ، وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه ، قال : وليعلمهم[129] الصلاة على الجنائز . والدعاء عليها فإنه من دينهم ، وليجعلهم[130] بالسواء في التعليم : الشريف والوضيع ، وإلا كان خائناً .

وسئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد . قال : لا أرى ذلك يجوز ، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة . ولم ينصب المسجد للتعليم[131] قال مالك : ولا أرى ان ينام في المسجد ولا يؤكل فيه إلا من ضرورة ولا يجد بدا منه مثل : الغريب والمسافر والمحتاج الذي لا يجد موضعاً .

---

126 ــ من الملاحظ ان مسالة تعلم أبناء غير المسلمين فيها اختلاف بين الائمة . فعند ابي حنيفة مثلا يجوز تعليم القرآن لأولاد الكفار بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من الدنيا وما فيها » . وفي بعض الروايات : خير مما طلعت عليه الشمس . واما كلمة الكتب فتعني هنا الكتابة ، بسكون التاء . هكذا وردت في الاصل ــ وفي تح . ص ٥٤ وردت الكتاب والصحيح ، الكتب .

127 ــ قال ابن القاسم : وقال مالك : لا يحمل المصحف غير الطاهر الذي ليس على وضوء . المدونة ج١ ص ١٠٧ طبعة مصر سنة ١٣٢٥هـ .

128 ــ العبارة « ولا يمس المصحف الا على وضوء » ساقطة في تح . ص ٥٤ .

129 ــ كذا في الاصل وفي تح : ص : ٥٤ . وردت « وليتعلموا » .

130 ــ وردت في مخ « ويجعلهم » .

131 ــ قال محمد بن سالم القطان : قلت لمحمد بن سحنون : هل يباح للمعلم ان يعلم الصبيان في المسجد ؟ قال : لا . وعلى المعلم كراء البيت للتعليم . وكذلك كان يفعل سحنون رحمه الله تعالى ــ يكري بيتا يعلم فيه الصبيان ، قلت : فان كان التعليم في المسجد أن يكون ذلك جرحة في شهادة المعلم ؟ قال : يمنع من ذلك وينهى عليه . ومن هنا سقطت شهادة اكثر المعلمين للصبيان . وهذا كله قول ابن القاسم روايته عن مالك ــ رحمه الله ــ عن كتاب « اجوبة بن سحنون الى محمد بن سالم القطان (مخطوطة) منقول عن تح . ص : ٥٥ .

قال محمد : وحدثني سحنون عن عبدالله بن نافع[١٣٢]، قال سمعت مالكاً يقول: لا رأى لأحد أن يقرأ القرآن وهو ملو على الطريق إلا أن يكون متعلماً . ولا أرى أن يقرأ في الحمام .

قال مالك : واذا مر المعلم بسجدة وهو يقرؤها عليه الصبي فليس عليه[١٣٣] ان يسجدها[١٣٤] لان الصبي ليس بإمام ، إلا أن يكون بالغافلا بأس ان يسجدها ، فإن ترك[١٣٥] فلا شيء عليه ، لانها ليست بواجبة . وكذلك إذا قرأها هو ، فإن شاء سجد ، وان شاء ترك . ألا ترى /[٥ ـ أ]/أن عمر قرأها مرة على المنبر ، فنزل فسجد ، ثم قرأها مرة اخرى ، فلم يسجد . وقال : [١٣٦] إنها لم تكتب علينا[١٣٧]. قال مالك : وكذلك المرأة اذا قرأت السجدة على الرجل لم يسجد الرجل معها لانها ليست بامام . وقد[١٣٨] قال رسول الله ـ ﷺ ـ للذي قرأ عليه : كنت اماماً فلو سجدت سجدت معك[١٣٩] .

١٣٢ ـ في الاصل « رافع » والصحيح نافع .
١٣٣ ـ في الاصل « عليها » .
١٣٤ ـ وردت بسقوط « ها » في يسجدها ، في تح . ص ٥٥ .
١٣٥ ـ في تح . « تركها » .
١٣٦ ـ هكذا في الاصل وفي تح . وردت فقال .
١٣٧ ـ يشير الى قول مالك ـ رضي الله عنه ـ في الموطأ (ج ١ ، ص . ٢٠٦ ـ دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥١) . ونصه : « عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب قرأ سجدة وهو على المنبر يوم الجمعة فنزل فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها يوم الجمعة الاخرى فتهيأ الناس للسجود فقال : على رسلكم، ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء ، فلم يسجد ، ومنعهم أن يسجدوا . قال مالك : ليس العمل على أن ينزل الامام اذا قرأ السجدة على المنبر فيسجد » .
١٣٨ ـ قد ساقطة في تح . ص ٥٦ .
١٣٩ ـ روى سحنون ، عن ابن وهب ، عن هشام بن سعد وحفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : بلغني أن رجلا قرأ آية من القرآن فيها سجدة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسجد الرجل ، فسجد معه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ثم قرأ آخر آية اخرى فيها سجدة وهو عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتظر أن يسجد (رسول الله) فلم يسجد ، فقال الرجل : يا رسول الله قرأت السجدة فلم تسجد . فقال رسول الله كنت اماما فلما سجدت سجدت معك ـ (المدونة ـ ج ١ ـ ص: ١٠٧) .

قال سحنون : وأكره للمعلم أن يعلم الجواري [و][140] يخلطهن مع الغلمان ، لان ذلك فساد لهم .

قال[141] : وسئل سحنون عن المعلم : أيأخذ الصبيان بقول بعضهم[142] على بعض في الاذى ؟ قال[143] : ما أرى هذا من ناحية الحكم ، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضاً . وذلك عندي إذا استفاض علم الاذى من الجماعة منهم أو كان الاعتراف ، إلا ان يكونوا صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ويعاقب على ذلك . ولا يجاوز في الادب كما أعلمتك ويأمرهم بالكف عن الاذى، ويرد ما أخذ بعضهم لبعض . وليس هو من ناحية القضاء ، وكذلك سمعت من غير واحد من أصحابنا . وقد أجيزت شهادتهم في القتل والجراح فكيف بهذا ! والله أعلم[144] .

---

140 ــ كلمة «لا» بعد الواو واردة في مخ . وهو خطأ من الناسخ . انظر: رسالة القابسي . ص : ٣١٥ .

141 ــ قال ساقطة في تح . ص ٥٦ .

142 ــ « بعظهم » هكذا مشالة في تح . ص ٥٦ دون تنبيه في ثبت اصلاح الاخطاء في آخر الكتاب .

143 ــ كذا في الأصل وفي تح . ص ٥٦ فقال .

144 ــ روي في الموطا ــ قال مالك ، الامر المجمع عليه عندنا: ان شهادة الصبيان تجوز فيما بينهم من الجراح وحدها ولا تجوز على غيرهم، وانما تجوز شهادتهم فيما بينهم من الجراح وحدها ، ولا تجوز في غير ذلك ، اذا كان ذلك قبل أن يتفرقوا أو يخببوا أو يعلموا . (وفي تح . بزيادة) « فان افترقوا فلا شهادة لهم الا أن يكونوا قد اشهدوا العدول على شهادتهم قبل أن يتفرقوا » . يخببوا : يخدعوا ، من الخب ، الخداع . انظر : الموطا ج ٢ ص : ٧٢٦ ــ وقريب من هذا المعنى ما جاء في شهادة الصبيان بعضهم على بعض في متن المدونة : قال سحنون : وذكر ابن وهب ، أن علي ابن أبي طالب وشريحا وعبدالله بن عمر وعورة بن الزبير وابن قسيط وابا بكر بن حزم وربيعة انهم كانوا يجيزون شهادة الصبيان فيما بينهم ما لم يتفرقوا وينقلبوا الى اهليهم أو يختلفوا ويؤخذ باول اقوالهم . « المدونة » .

« ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب[؟] »[145]

قال . [محمد][146] وكتب شجرة بن عيسى[147] إلى سحنون يسأله عن المعلم يستأجر على صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان أو يريد [أبوه][148] ان يخرج به الى سفر أو غيره . فقال : إذا استؤجر سنة معلومة[149] فقد لزمت آباءهم[150] الإجارة خرجوا أو أقاموا ، وإنما تكون الإجارة هنا تبعّض[151] على حال[152] الصبيان لأن منهم الخفيف والثقيل ، وقد يكون الصبي له المؤونة في تعليمه ومنهم من لا مؤونة على المعلم فيه ففي هذا ُينظر قال وقال سحنون : انتقض ما ينوب أباه من إجارة في باقي الشرط ، ولا يلزمه ذلك ، وكذلك إن مات الأب انتقض ما بقي من الاجارة وكان ما بقي في مال الصبي . قال محمد : مثل الرضاع إذا استأجر الرجل لولده من ُيرضعه ثم مات الأب أو الصبي ، فإن عبد الرحمن روى عن مالك : أن الاجارة تنتقض ، ويكون ما بقي في مال الصبي إن كان له مال ، ويكون ذلك موروثاً عن الميت . وإن مات الصبي أخذ الأب باقي الاجارة . وروى أشهب عن مالك : أن تلك العطية نفذت للصبي ، فإن مات الأب كانت للصبي ، وإن مات

---

١٤٥ ـ العنوان أعلاه هو من وضع الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب، انظر : تح · ص ٥٧ · ولم يلاحظ عليه في الهامش ـ وهو طبعا غير وارد في الاصل ·

١٤٦ ـ ما بين المعقفين غير موجود بالاصل ·

١٤٧ ـ شجرة بن عيسى المعافري ، ويقال له ابو زيد من أهل مدينةتونس، سمع من ابيه وعلي بن زياد التونسي وابي كريمة ، وابن اشرس، وابوه عيسى ممن روى عن مالك مباشرة وعن الليث وابن لهيعة، واصله اندلسي نزل بتونس · وتولى شجرة قضاء تونس أيام سحنون وقبله · واخذ عنه جماعة من اصحاب سحنون وغيرهم، قال ابو العرب : كان شجرة من خير القضاة واعلمهم ، ثقة عدلا ، مامونا ، وكان كثير المعروف والفضائل· وكان مولده سنة ١٦٩هـ· ووفاته كانت سنة ٢٦٢هـ· انظر : ترجمة القاضي عياض في المدارك ج· ٣ ص ١٢ ـ ابن فرحون في الديباج ص ١٢٧ ·
ـ وابن العذارى في البيان المغرب · ج ١ ص : ١٢٢ و ١٥٢ ·

١٤٨ ـ كلمة « ابوه » غير موجودة في مخ ولا في غ ·

١٤٩ ـ وردت في تح ص ٥٧ · « معلوما » بدل معلومة ·

١٥٠ ـ في تح· ص : ٥٧ « آباؤهم » ·

١٥١ ـ وردت في تح· ص : ٥٧ « تقضي » واورد نفس الخطأ الدكتور احمد فؤاد الاهواني · انظر : التربية في الاسلام··· ص : ٢٦٤·

١٥٢ ـ في غ· و تح « حال » · وفي الاصل « رحال »·

الصبي كان ما بقي موروثاً عن الصبي كأنه مال له[153]. وكذلك اجرة المعلم مثل هذا . والله اعلم .

قال محمد : وهذا قولي ، وهو القياس .

قال سحنون : وقد سئل بعض علماء الحجاز منهم ابن[154]دينار[155] وغـــيره ـ ان يُستأجر المعلم لجماعة وان يفرض[156]على كل واحد ما ينوبه . فقال : يجـوز إذا تراضى[157] بذلك الآباء لأن هذا ضرورة ولا بد للناس منه وهو اشبه .

وقال : هو بمنزلة ما لو استأجر رجل عبدين من رجلين لكل واحد عبد . وإنما ذلك بمنزلة البيع ، وعبد الرحمن لا يجوز هذه الاجارة لأنه لا يجوز ذلك في البيع . والله اعلم .

قال : ولا بأس للمعلم أن يشتري لنفسه ما يصلحه من حوائجه إذا لم يجد من يكفيه . ولا بأس أن ينظر في العلم في [٥ ـ ب] الأوقات التي يستغني الصبيـان عنه مثل أن يصيزوا[158]إلى الكتب وإملاء بعضهم على بعض إذا كان ذلـك منفعـة لهم ، فإن هذا قد سهل فيه بعض أصحابنا .

وسئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً فقال : إن كان مثـله في نفاذه فقـد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة ، وسمعته يقول : تنازع (المغـيرة بن

١٥٣ ـ في تح « ماله » وفي خ : لانه مال له .

١٥٤ ـ بسقوط الالف في مخ .

١٥٥ ـ هو محمد بن ابراهيم بن دينار بن النجار من ولد دينار بن النجار، كنيته ابو عبد الله ؛ يروى عن ابي ذئب وموسى بن عقبة ، ويزيـد بن أبي عبيد ، وعبد العزيز بن المطـلب ، وعن سلمة بن وردان . واخذ عنه جم غفير منهم ، عبد الله بن وهب ، وابو مصعب احمـد ابن ابي بكر وانظارهما . وهو محدث من ابناء المدينة . قال ابن حبيب : كان هو والمغيرة افقه اهل المدينة ... توفي سنة ١٣٢هـ. « ترجمة ابن حجر في التهذيب ، ج : ٩ ص : ٧ ، وابن القيسراني فيكتاب الجمـع ص: ٤٥٦ ـ والخزرجي في الخلاصة ص: ٢٨٦، والقاضي عياض في المدارك ، ج ١ ص : ٢٩١ ، وابن فـرحون في الديباج ص : ٢٢٧ » .

١٥٦ ـ في الأصل : يقض » .

١٥٧ ـ في الأصل تراضوا ـ والصحيح تراضى .

١٥٨ ـ غير واضحة والارجح يصيروا .

شعبة[١٥٩] وابن[١٦٠] دينار كلاهما من علماء الحجاز ـ عن الصبي[١٦١] يختم القرآن عند المعلم فيقول الأب : إنه لا يحفظ . فقال المغيرة : اذا كان أخذ القرآن كله عنده ، وقرأه الصبي كله نظراً في المصحف وأقام حروفه فإن أخطأ منه اليسير الذي لا بد منه مثل الحروف ونحوها ، فقد وجبت للمعلم الختمة وهو على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وهو الذي أحفظ من قول مالك .

وقال ابن[١٦٢] دينار: سمعت مالكا يقول. تجب للمعلم الختمة على قدر يسر الرجل وعسره ، يجتهد في ذلك (أولو)[١٦٣] النظر للمسلمين . وأرى انه إذا تنازع الاب والمعلم في الصبي أنه لايعلم القرآن ، فإنه إذا قرأ منه نظرا من الموضع الذي لو كان أخذه عنده مفرداً وجبت له[١٦٤] الختمة، قضيت له بها ، ولا إبالي أن لايقرأ غير ذلك لأنه لو لم يأخذه عنده ، لم يسأل هذا المعلم عنه . وأجمعوا على انه إذا أخذ عنده الثلث إلى سورة البقرة ، ان الختمة واجبة ، إذا عرف أن يقرا ، كما وصفت لك، ولا يسأل عن غير ذلك مما لم يكن أخذه عنده . وسئل عن المعلم يستأجر على تعليم (سنة)[١٦٥] فيموت ، فقال · إذا مات انفسخت الإجارة ، وكذلك إذا مات أحد (من)[١٦٦] الصبيان انفسخ من الاجارة بقدر مابقي من إجارة مثل الصبي ، وقد قيل إن الاجارة لاتنفسخ، وان على المعلم فيما له مقاصة في التعليم وعلى أبي الصبي ان يأتي بمن يعلمه المعلم تمام السنة ، والا كانت له الاجارة كاملة . قال محمد: الاول كلام عبد الرحمان وعليه العمل[١٦٧] وانما ذلك بمنزلة الراحلة بعينها اذا هلكت انفسخ

....

١٥٩ ــ في مخ و تح «المغيرة بن شعبة» · وهو خطأ لبعد التاريخين فابن شعبة (توفي سنة ٥٠ هـ) · بينما ابن دينار فقد توفي سنة ١٨٢ · والصحيح ان المقصود بالمغيرة هو المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي الذي كان معاصرا لابن دينار · انظر : **التهذيب** لابن حجر (١٠ : ٢٦٤) ، **والديباج** لابن فرحون : ٢٢٧ ·

١٦٠ ــ الالف ساقطة في الاصل ·

١٦١ ــ هكذا في الاصل وفي تح · ص ٥٩ ، «صبي» بسقوط الالف واللام·

١٦٢ ــ الالف في ابن ساقطة من الاصل ·

١٦٣ ــ وردت في الاصل ــ « ولو » ــ وفي تح · ص ٥٩ « ولي » والصحيح عندنا « أولو » ·

١٦٤ ــ وردت مكررة في الاصل وهو سهو من الناسخ ·

١٦٥ ــ كلمة « سنة » ساقطة من تح·

١٦٦ ــ كلمة « من » ساقطة من تح·

١٦٧ ــ في ــ خ ــ وردت « عامة أهل المدينة »·

الكراء ، ولا يجوز أن يأتي بمثلها ولا يشترط عليه ذلك . والله اعلم . وسمعته يقول : قال أصحابنا جميعا ، مالك والمغيرة وغيرهما: تجب للمعلم الختمة ، وان[١٦٨] استؤجر شهرا شهرا ، أو على تعليم القرآن بأجر معلوم ولايجب له غير ذلك.

وقالوا: إذا استظهر الصبي القرآن كـــله كان (له)[١٦٩] أكثر في العطية للمعلم (من)[١٧٠] إذا قرأه نظرا. واذا لم يتهجا[١٧١] الصبي مايملي عليه ولا يفهم حروف القران لم يعط المعلم شيئا ، وأدب المعلم ، ومنـع من التعليم إذا عرف بهـــذا وظهر تفريطه .

(ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها)[١٧٢]

وقال سحنون . قلت لابن القاسم . أرأيت المصحف ، أيصح أن يستأجر ليقرأ فيه ؟ فقال لابأس به ، لأن مالكا قال : لابأس ببيعه . (عن) [١٧٣] ابن[١٧٤] وهب عن ابن لهيعة ويحيى بن أيوب ، عن عمارة بن غزية[١٧٥] عن ربيعة وقال : لا بأس ببيع المصحف. وانما يباع الحبر ، والورق ، والعمل .

[٦-أ]/ [١٧٦] عن ، ابن وهب عبد الجبار/ بن عمر ان (ابن) [١٧٧] مصبح[١٧٨] كان يكتب المصاحف في ذلك الزمان ويبيعها . احسبه قال : في زمن عثمان بن عفان–

---

١٦٨ ــ في تح . ص : ٦٠ ، وردت « ولو » بدل وان .
١٦٩ ــ « له » غير واردة في الاصل .
١٧٠ ــ وردت « من » ، في مخ ، والصحيح ما اثبتناه بين المعقفين .
١٧١ ــ وردت يتهج في تح . ص : ٦٠ .
١٧٢ ــ العنوان أعلاه غير وارد في الاصل ، وقد اقحم في تح . ص : ٦٠، دون اشارة في الهامش .
١٧٣ ــ ما بين المعقفين غير وارد في الاصل وهو من وضعنا .
١٧٤ ــ الالف ساقطة في « ابن » من الاصل ، وواردة في تح .
١٧٥ ــ مكرر ، في مخ ، و تح وردت «عرفة» . أما في خ فغير موجودة . والصحيح ما اثبتناه بالاستناد الى مـــا ورد في المدونة : ١١ : ٦٠ . (مطبعة السعادة ــ مصر . ١٣٢٢ هـ) .
١٧٦ ــ ما بين المعقفين غير وارد في مخ و تح ، وهو مقترح منا .
١٧٧ ــ «ابن» ساقطة من مخ .
١٧٨ ــ وردت في مخ «مصبح» وكذلك في خ .
ووردت «مصبح» في تح . (ص : ٦١) .

رضي الله تعالى عنه . ولا ينكر ذلك[179] عليه أحد، ولا رأينا[180] احداً بالمدينة يذكر ذلك[181] قال: وكلهم لايرون به بأسا[182].

قال: ولا أرى أن تجوز إجارة كتب الفقه. لأن مالكا كره بيعها لأن فيه اختلاف العلماء : قوم يجيزون مايبطل قوم . قلت : فقد أجزتم إجارة الحر وهو لايحل بيعه ، فكيف لاتجيزون إجارة كتب الفقه ؟ فقال : لأن الاجرة في الحر معلومة ، خدمته تملك . وإنما في كتب الفقه القراءة ، والقراءة لاتملك . قال محمد : لاأرى بأسا باجارتها وبيعها إذا علم من استأجرها[183] أو اشتراها وقال[184] محمد: لابأس أن يستأجر الرجل المعلم على ان (يعلم)[185] أولاده القرآن بأجرة معلومة[186] إلى أجل معلوم أوكل شهر وكذلك نصف القرآن أوربعه أو ماسميا منه . قال : واذا

---

١٧٩ ـ كلمة «ذلك» غير موجودة في تح ٠

١٨٠ ـ هكذا وردت في الاصل وفي ـ خ ـ اما في تح ٠ (ص : ٦١) ٠ فقد وردت « رأيت » ٠ والصحيح ما اثبتناه ٠

١٨١ ـ تزمي نسخة الرباط (خ) بكلمة ذلك ٠

١٨٢ ـ وعبارة المدونة في هذا المضمار : «قلت : ارايت المصحف هل يصح ان يستاجره الرجل يقرأ فيه ، قال : لا باس بذلك ٠ قلت: لم جوزته ؟ قال : لأن مالكا قال : لا باس ببيع المصحف ، فلما جوز مالك بيعه جازت فيه الاجارة ٠ ابن وهب عن ابن لهيعة ، ويحيى ابن ايوب ، عن عمارة بن غزية ، عن ربيعة انه قال : لا باس ببيع المصحف ٠ انما يبيع الحبر ، والورق ، والعمل ٠ قال ابن وهب: واخبرني رجال من أهل العلم ، عن يحيى بن سعيد ومكحول وغير واحد من التابعين انهم لم يكونوا يرون ببيع المصاحف باسا ٠ قال ابن وهب ، واخبرني عبد الجبار بن عمر أن ابن مصبح كان يكتب المصاحف في ذلك الزمان الاول قال : احسبه في زمان عثمان ويبيعها ولا ينكر عليه أحد قال : وما راينا احدا بالمدينة ينكر ذلك٠ قال : وكلهم لا يرون به باسا ٠ سحنون عن انس بن عياض عن بكير بن مسمار ، عن زياد مولى لسعد انه سال عبد الله بن عباس ومروان بن الحكم عن بيع المصاحف والتجارة فيها فقالا : لا ندري أن يجعله متجرا ولكن ما عملت بنلك فلا باس به ، وقال مالك في بيع المصاحف وشرائها لا باس به ٠ هذه الآثار لابن وهب انظر : المدونة : ج ١١ ، ص : ٦٠ ٠

١٨٣ ـ وردت في تح ٠ «و» بدل «أو» كما في الاصل ٠

١٨٤ ـ هكذا في الاصل ٠ وردت في تح ٠ (ص : ٦١) «قال» بسقوط الواو ٠

١٨٥ ـ ما بين المعقفين غير واردة في الاصل ٠

١٨٦ ـ كلمة «معلومة» غير موجودة في تح (ص : ٦١) ٠

استأجر الرجل معلما على صبيان معلومين جاز للمعلم أن يعلم معهم غـــيرهم إذا كان لايشغله ذلك عن تعليم هؤلاء الذين استؤجر لهم . قـال : واذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين [١٨٧] سنة فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم .

قال [١٨٨] : واذا قيل للمعلم علم هذا الوصيف ، ولك نصفه لم يجز ذلك [١٨٩]. قال : وإذا أدب المعلم الصبي الذي يجوز له فأخطأ ، ففقأ عينه ، أو أصابه فقتله ، كانت على المعلم الكفارة في القتـــل ، والدية على العاقلة إذا جاوز الأدب . وإذالم يجاوز الأدب ، وفعل مايجوز له فلا دية عليه ، وإنما تضمن [١٩٠] العاقلة من ذلك ما يبلغ الثلث ، وما لم يبلغ الثلث ففي ماله . قال : ولا بأس بالرجل يستأجر الرجل أن يعلم ولده الخط والهجاء. وقد كان النبي - ﷺ - يفادي بالرجل يعلم الخط . قال : ولا ارى ان يجوز بيـــع كتب الشعر ولا النحو ولا اشباه ذلك ، ولايجوز إجارة من يعلم ذلـك [١٩١] . قال مالك : ولا أرى اجارة من يعلم الفقه والفرائض .

قال:قال:سحنون . وإذا ضرب المعلم الصبي بما يجوز له ان يضربه إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات او اصابه منه [١٩٢] بلاء لم يكن على المعلم شيء غـــير

---

١٨٧ ــ وردت معلمين في تح . (ص : ٦٢) .

١٨٨ ــ كلمة «قال» غير موجودة في تح (ص : ٦٢) .

١٨٩ ــ وفي المدونة ــ قال سحنون : قلت لابن القاسم : «ارايت ان قـــال رجل لرجل : علّم غلامي هذا الكتاب ، سنة ، او القـرآن ، سنة ، على أن يكون الغلام بيني وبينك « قال » : لا يعجبني هذا ، لانه لا يقدر احدهما على بيع ماله فيه قبل السنة فهذا فاسد . ولو مـات العبد قبل السنة ايضا ذهب عمله باطلا » ــ المدونة: ج١١ ص: ٦١، في اجارة المعلم .

١٩٠ ــ يضمن ، الظاء مشالة في تح ، ص ــ ٦٣ ، وهو خطأ لم يعلن عنه في ثبت الخطأ والصواب .

١٩١ ــ وفي المدونة ايضا «قال سحنون : قلت لابن القـاسم» : ارايت ان استاجرت دفاتر فيها شعر ونوح وغنـاء يقرأ فيهـا (قال) : لا يصلح هذا ، قلت لم ؟ قال : لأن مالكا قال : لا تباع دفاتر فيهـا الفقه . وكره بيعها . وما اشك أن مالكا اذا كره بيع كتب الفقـه انه لبيع كتب النوح والشعر والغناء اكره . فلما كره مالك بيـع هذه الكتب كانت الاجارة فيها على أن يقرأ فيها غير جائزة ، لان ما لا يجوز بيعه عند مالك لا تجوز الاجارة فيه ــ المدونة . ج ١١، ص : ٦٣ .

١٩٢ ــ كلمة «منه» غير موجودة في تح (ص : ٦٢) .

الكفارة إن مات . وان جاوز الادب ضمن الدية في ماله مع الادب . وقد قيل على العاقلة مع الكفارة فإن جاوز الادب فمرض الصبي من ذلك فمات فإن كان جاوز ما يعلم انه اراد به القتل اقسموا ، وقتله (١٩٣) به الاولياء وان كان لم يجاوز ما يرى انه اراد به القتل إلاعلى على وجه الادب ، إلا انه جهـــل الادب أقسم الأولياء واستحقوا الدية قبل العاقلة. وعليه هو الكفارة، فإن كان المعلم لم يل الفعل وانما (١٩٤)وليه غيره كان الامر على مافسرت لك، ولا شيء على المأمور . وإن كان بالغا فمن اصحابنا من راى الدية على عاقلة الفاعل وعليه الكفارة ، ومنهم من رأى الدية على عاقلة المعلم ، وعلى [-٦ب]/الفاعل الكفارة/ والله اعلم .

قال :وسمعت سحنون يقول : لااري للمعلم ان يعلم «أبا جاد » واري ان يتقدم للمعلمين في ذلك . وقد سمعت حفص بن غياث (١٩٥) يحدث ان « اباجاد » اسماء الشياطين القوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها . قال : وسمعت بعض أهل العلم يزعم انها اسماء ولد سابور، ملك فارس امر العرب الذين كانوا في طاعته ان يكتبوها فلا ارى لأحد ان يكتبها فإن ذلك حرام. وقد اخبرني سحنون بن سعيد، عن عبد الله بن وهب ، عن يحي بن ايوب ، عبد الله بن طاوس ، عن ابيه ، عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : قوم ينظرون في النجوم يكتبون « اباجاد» اولئك لاخلاق لهم (١٩٦) .

....

١٩٣ – في الاصل وردت «قتلوه» ·
١٩٤ – كلمة «وانما» وردت في تح «انما» بدون واو ·
١٩٥ – ابو عمر حفص بن غيـــاث بن ابراهيم النخعي الكوفي ، ولد سنة ١١٧ هـ· تولى قضاء محلة الشرقية ببغداد ، ثم قضاء الكـوفة، وبها توفي سنة ١٩٤ · كان من الفقهاء حافظا لحديث الثقات وهو صاحب أبي حنيفة ، اخذ عن الاعمش ، وعاصم الاحول ، وبريـد بن عبد الله ، وسفيان الثوري ، وغيرهم · وروى عنه احمد بـن حنبل ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين والامام سحنون حيـن رحلته الى المشرق · « ترجمة الذهبي في تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، وابن حجر في التهذيب ، ج ٢ ، ص : ٤١٥ ، والزركلي في الاعلام ، ج ١ ، ص : ٢٦٤ ·
١٩٦ – ابجد : كاحمر ، وقيل محركة ساكنة الآخر ، وقيل (اباجـــــاد) كصيغة الكنية « الى قرشت وكلمن » : رئيسهم · وقـد روي انهم كانوا « ملوك مدين » كما قيل · وفي ربيع الابرار للزمخشري أن « اباجاد » كان ملك مكة – وقيل بأنها اسماء شياطين ، نقلهسحنون

قال وسئل مالك عن معلم ضرب صبياً ففقأ عينه ، أو كسر يده ، فقال : ان بالدرة على الادب واصابه بعودها فكسر يده ، اوفقأ عينه ، فالدية على العاقلة اذا عمل ما يجوز ، فإن مات الصبي فالدية على العاقلة بقسامة وعليه الكفارة وان ضربه باللوح او بعصا فقتله فعليه القصاص ، لانه لايؤذن له ان يضربه بعصا ولا بلوح.

قلت روى بعض اهل الأندلس انه لابأس بالاجارة على تعليم الفقه والفرائض ، الشعر والنحو. وهو مثل القرآن فقال: كره ذلك مالك واصحابه و كيف يشبه القرآن ، والقرآن له غاية ينتهي اليها . وما ذكرت ليس له غاية ينتهي إليها فهذا مجهول . والفقه والعلم امر قد اختلف فيه . والقرآن هو الحق الذي لاشك فيه . والفقه لايستظهر مثل القرآن فقال . فهو لا يشبهه ولا غاية له ، ولا امر ينتهى إليه .

كمل « كتاب آداب المعلمين» مما دون محمد بن سحنون عن ابيه — رضي الله عنهما — (والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم) . (١٩٦) وكتبه لنفسه عبيد الله (والمعترف بذنبه)(١٩٧) الراجي سعة فضل الله ورحمته، محمد بن محمد بن محمد بن احمد البري المرادي — غفر الله (١٩٨) [له] ولوالديه بحرمة سيدنا ومولانا محمد — ﷺ — كثيرا والحمد لله رب العالمين .

عن حفص بن غياث . وقيل أولاد سابور ، وقيل غير ذلك . وهم أول ما وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم .

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعروة بن الزبير انهما قالا : أول من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزلوا في عدنان بن أدد واستعربوا . واسماؤهم . أبجد وهوز، وحطي وكلمن وسعفص — وقرشت . فوضعوا الكتاب العربي على اسمائهم ، وهكذا ذكره أبو عبدالله حمزة بن الحسن الاصفهاني. وقيل غير ذلك ، وقال قطرب : هو «أبو جاد» وانما حذفت واوه والفه لانه وضع لدلالة المتعلم ، فكره التطويل والتكرار واعادة المثل مرتين ، فكتبوا أبجد بغير واو ولا الف . « تاج العروس ، ج : ٢ ، ص : ٢٩٤ ، مادة : (يجد) » .

وروى السيوطي بالنقل عن الطبراني في جامعه الكبير حديثا هذا نصه : « رب معلم حروف « أبي جاد » دارس النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » عن ابن عباس وقد ضعفه (الجامع الصغير للسيوطي ، القاهرة ، ١٣٢١هـ) ، ج ٢ ، ص١٨ .

١٩٦ — ما بين القوسين غير موجود في تع. (ص : ٦٤).

١٩٧ — ما بين القوسين غير موجود في تع. (ص : ٦٤) .

١٩٨ — [له] ما بين المعقفين ، ساقطة في الاصل ، وموجودة في تع . (ص : ٦٤) ، اثبتناه ليستقيم المعنى في النص .



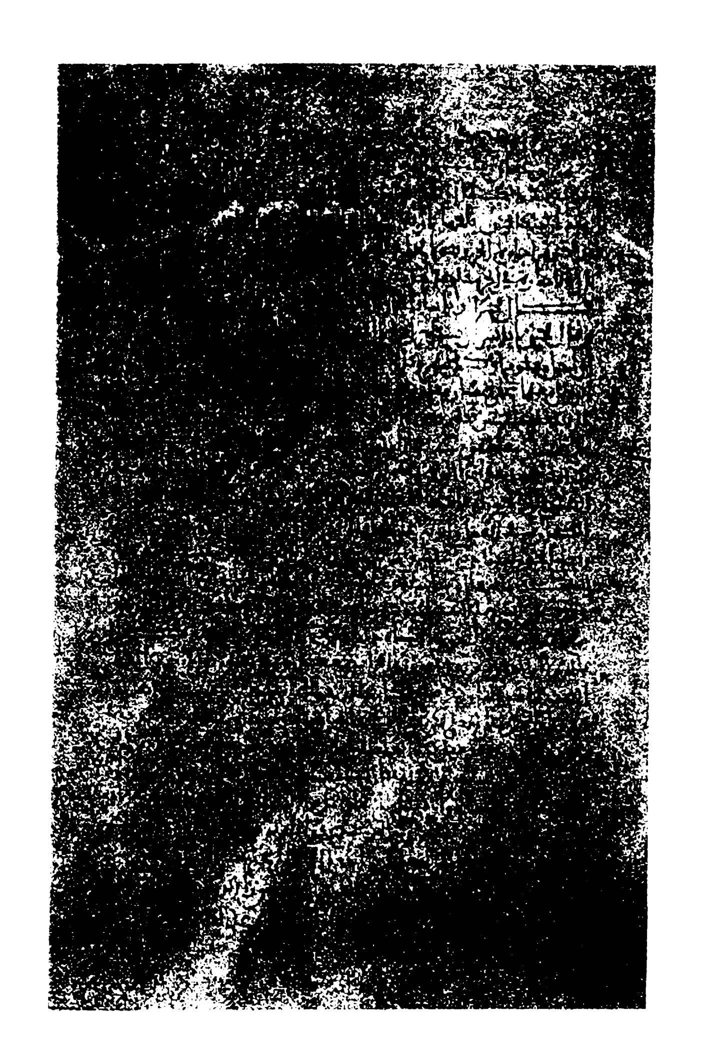
الملحق -أ-

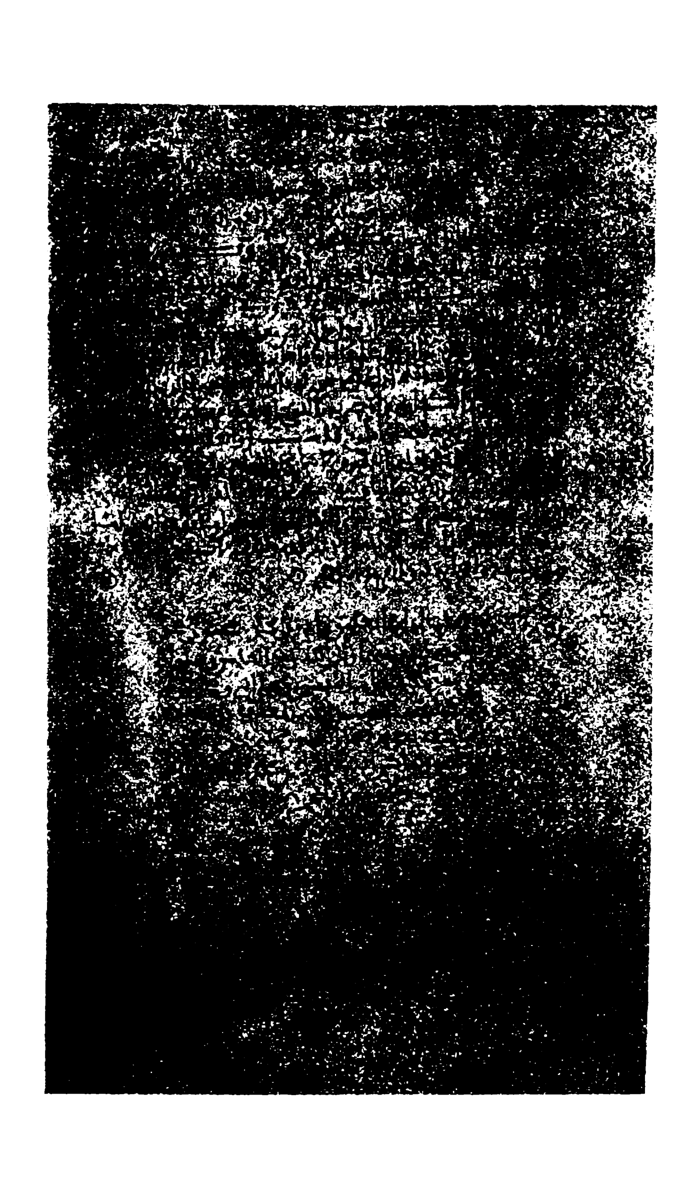
صُورَة فوتوغرافيَة لكتاب آداب المعلِّمين
لمحمّد بن سَحنون «مخطوطة»
بدار الكتب الوَطنية بتونس - حفظت تحت رقم ٨/٧٨٧



[illegible]







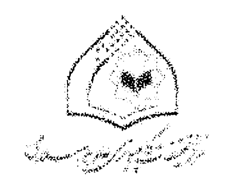


الفهارس العامة

أ - فهرس الأعلام

ب - فهرس الجماعات والقبائل

جـ - فهرس الأماكن والبلدان



(أ) ــ فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

(ب) ـ فهرس الجماعات والقبائل

(أ)

(ب)

(خ)

(ق)

(م)

(ن)

(و)

(ج) - فهرس الاماكن والبلدان

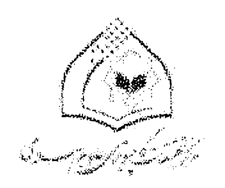
(ا)

(ب)



د ــ فهرس

المراجع العامة والخاصة



بالعربية :

كتب التراجم :

١ــ رياض النفوس ،لأبي بكر عبد الله بن ابي عبد الله المالكي : (كتاب تراجم نفيس في طبقات علماء القيروان وافريقية قام بنشره حسين مؤنس ــ الجزء الاول ــ من الفتح العربي إلى آخر سنة ٣٠٠ هجري. القاهرة ــ طبعة النهضة المصرية ١٩٥١ م .)

٢ ــمعالم الايمان في معرفة أهل القيروان .

للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الدباغ تذييل الشيخ أبي القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني . (أربعة أجزاء في مجلدين ــ المطبعة العربية التونسية ــ تونس ١٣٢٠ هـ .)

٣ ــ الديباج المذهب ، في معرفة أعيان علماء المذهب .

لبرهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعموري المدني المالكي . القاهرة ــ ١٣٥١ و كذلك الطبعة الاولى ــ مطبعة السعادة ــ ١٣٢٩ هـ .

٤ ــ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك .

للقاضي عياض قام بتحقيقه ونشره الدكتور احمد باكير (دار مكتبة الحياة ــ بيروت). كما نشر محمد الطالبي تراجم اغلبية مستخرجة من المدارك ــمنشورات الجامعة التونسية ١٩٦٧ ــ وطبعة الرباط ابتداء من سنة ١٩٦٥ .

٥ ــ عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ــ الطبعة الاولى ــ المطبعة الوهبية ــ الجزء الاول : ٣٢٨ صفحة . الجزء الثاني: ٢٦٤ صفحة.

٦ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ـ (في ستة أجزاء) تحقيق ف . فستنفيلد ليبزغ ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠

٧ ـ البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب باريس ١٩٦٥ ـ الجزء الاول . لابن العذارى . وطبعة ليدن ١٨٤٨ ، وكذلك طبعة ليدن ـ ١٩٤٨

٨ ـ طبقات علماء افريقية لابي العرب ط . باريس ١٩١٥ ـ طبعة الجزائر ١٣٣٢ هـ . وطبعة تونس ـ ١٩٦٨

٩ ـ طبقات الحفاظ للسيوطي طبعة غوطا ٣ / ١٨٣٤ م

١٠ ـ طبقات ابن سعد. طبعة ليدن ١٣٢٢ و١٣٣٢ هـ .

١١ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي . طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

١٢ ـ مناقب أبي اسحاق الجبنياني لابي القاسم اللبيدي ـ طبعة تونس ـ ١٩٥٩ ـ

١٣ ـ خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي . طبعة مصر ـ ١٣٢٣ هـ

١٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر . طبعة الهند ـ ٧ أجزاء / ١٣٢٥ هـ .

١٥ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ـ طبعة الهند ـ ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤ هـ .

١٦ ـ فهرست مرويات ابي بكر بن خير طبعة سرقسطة باسبانيا ـ بعناية المستشرق كوديرا ـ ١٨٩٣ ـ

١٧ ـ سنن ابن ماجه ـ طبعة مصر ـ ١٣١٣ هـ .

١٨ ـ ميزان الاعتدال للذهبي . طبعة مصر ـ ١٣٢٢ هـ

١٩ ـ الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني طبعة الهند ـ ١٣٢٣هـ .

فقه وحديث :

١ـ احكام الاحكام لابن دقيق العيد طبعة مصر ـ ١٣٤٢ ـ ١٣٤٤هـ.

٢ـ الجامع الصحيح للبخاري . طبعة مصر ـ ١٣١١ ـ ١٣١٣ هـ،

٣ـ الجامع الصحيح للترمذي . طبعة مصر . ١٢٩٢ هـ .

٤ـ الجامع الصحيح لمسلم . طبعة الاستانة . ١٣٢٩ ـ ١٣٣٣ هـ.

٥ـ الجامع الصغير للسيوطي . طبعة القاهرة . ١٣٢١هـ .

٦ـ المدونة الكبرى لسحنون. طبعة مصر . ١٣٢٣هـ. وطبعة ١٣٥٦ هـ .

٧ـ مسند ابن حنبل . طبعة مصر ـ ١٣١٣ هـ.

٨ـ النهاية في غريب الحديث لابن الاثير . طبعة مصر ١٣٢٢.

٩ـ الموطأ لمالك بن أنس : طبعة مصر ـ ١٣٤٣ هـ. وطبعة دار إحياء الكتب العربية ـ ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م (الجزء الاول).

القرآن وعلومه :

١ ـ القرآن ـ

٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٤ هـ.

٣ ـ تفسير : انوار التنزيل واسرار التأويل للقاضي ناصر الدين البيضاوي ـ من مطبوعات أسعد محمد سعيد الحبال وأولاده بجدة .

٤ ـ تفسير : المنار للشيخ محمد عبده ـ تأليف السيد محمد رشيد رضا ـ الطبعة الثالثة عن دار المنار بمصر ـ ١٣٦٧ هـ .

٥ ـ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : جزءان الطبعة الثالثة ـ مطبعة حجازي سنة ١٩٤١ .

٦ ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي : جزءان مطبعة السعادة بمصر . ١٣٣١ . و ط. مصر ١٣٣٢ هـ. ١٩١٣ م.

تاريخ الحضارة الاسلامية :

ــ ابن خلدون ، (عبد الرحمن بن محمد) .

● **كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب** (في جزءين) وهو القسم الاخير من التاريخ المسمى كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ... نشر ديسلان . طبع بالجزائر : ١٨٤٧ .

● **المقدمة**

الطبعة الأولى بيروت ــ ١٨٨٦ ــ الطبعة الثانية . دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ ١٩٦١ .

ــ ابن هشام .

● **كتاب سيرة رسول الله** ﷺ ٤ أجزاء : (القاهرة ــ ١٣٣٦ ــ ١٣٣٧) .

ــ الجنحاني ، (الدكتور الحبيب) .

● **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية في المغرب العربي** ــ الدار التونسية للنشر ــ ١٩٦٨ .

ــ أمين ، (الدكتور أحمد)

● **فجر الاسلام** ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة الاعتماد ١٩٣٤ والطبعة العاشرة ــ دار الكتاب اللبناني ــ ١٩٦٩ .

● **ضحى الاسلام** ــ ثلاثة أجزاء ــ مطبعة لجنة التأليف .

ــ حسن ، (الدكتور حسن ابراهيم)

● **تاريخ الاسلام** ــ الجزء الاول ــ ط. ٧ ــ ١٩٦٤ .

ــ زيدان ، (جورجي)

● **تاريخ التمدن الاسلامي** (في خمسة أجزاء) تعليق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٨

ــ فكري ، (الدكتور أحمد)

● **المسجد الجامع بالقيروان** ــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٣٦ .

تاريخ وفتوحات :

– ابن الاثير ، (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم) .

● **الكامل في التاريخ** – تحقيق كارولوس توربنرك – ط / بريل – ليدن ١٨٦٥ ١٨٧٤ – و ط . مصر . ابتداء من سنة ١٣٤٨ هـ .

– ابن عبد الحكم ، (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله) .

● **فتوح مصر وأخبارها** – تحقيق شارل س . توري – مطبعة بريـــل ، ليدن – ١٩٢٠ .

– البلاذري ، (أحمد بن يحيى) .

● **كتاب فتوح البلدان** – القاهرة – ١٩٠١ ، وطبعة ١٩٣٢ .

– البكري ، (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) .

● **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** باريس ١٩٦٥ .

– السيوطي ، (جلال الدين) .

● **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** – ١٣٢١ هـ .

التربية والتعليم :

١ – **تاريخ التربية** : لمصطفى أمين . مطبعـــة المعارف – الطبعة الاولى : ١٩٢٥ .

٢ – **أصول التربية وفن التدريس** : لأمين مصطفى قنديل – الجزء الاول : سنة ١٩٣٧ – (الطبعة الرابعة) – الجزء الثاني : سنة ١٩٣١ لجنـــة التأليف .

٣ – **تعليم المتعلم طريق التعلم**: للزرنوجي – المطبعة الرحمانية : سنة ١٩٣١– (٧٩ صفحة) .

٤ – **آداب المعلمين** : مما دون محمد بن سحنون عن أبيـــه – نشره الاستاذ

حسن حسني عبد الوهاب بتونس مطبعة العرب ١٣٤٨ هـ . / ١٩٣١م.
٥ ـ سياسة الصبيان وتدبيرهم : لابن الجزار القيرواني تحقيق محمد الحبيب الهيلة ـ الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .
٦ ـ تاريخ التربية الاسلامية : للدكتور أحمد شلبي دار الكشاف بيروت ـ ١٩٥٤ .
٧ ـ مبادىء التربية الاسلامية: لأسماء فهمي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٧ .
٨ ـ التربية في الاسلام أو التعليم في رأي القابسي : للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ـ (رسالة دكتوراه) ـ القاهرة ـ دار إحيـــاء الكتب العربية ـ ١٩٥٥ .
٩ ـ التربية في الاسلام : طبعة منقحة للرسالة أعـــلاه ـ القاهرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ .
١٠ ـ التربية والتعليم في الاسلام : للدكتور محمد اسعد طلس ـ بيروت ، دار العلم للملايين . ط ١ ـ ١٩٥٧ .

باللغات الاجنبية :

— Adbelmoula (Dr. Mahmoud):
L'Université Zaytounienne et la Société Tunisienne.
Thèse dl 3e cycle en sociologie, publiée avec le concours du C.N.R.S. (Tunis - 1971).

— Békir (Dr. Ahmed):
Histoire de l'Ecole Malikite en Orient Jusqu'à la fin du Moyen-age - Tunis - 1962 - 244p. (Thèse Principale - Dotorat es-lettres de l'Université de Paris.

— Carra de vaux: **La Doctrine de l'Islam.** Paris, 1909.

— Dewey, **Schools of Tonorrow.**

— Despois J. : ● **L'Afrique du Nord**, Paris P.U.F. 1958.
● Kaitoun, in Annules de Géographie. 1930, p. 161 - 177.

— Durkhein: **Education Pédagogique en France** — 2 vol.
Education morale.

— Dosy R. : **Histoire des Musulmans d'Espagne.** Leyde. E.I. Brill. 1932.

— Gautier E.F. : **Le passé de l'Afrique du Nord.** Paris Payot 1937.

— Goldziher: - **Le Dogme et la Loi de l'Islam.** Paris 1920.
- **Mahammedanische Studien,** Hall 1890.

— Julien CH. André: - **Histoire de l'Afrique du nord** - Paris, Payot 1956.
— Ibrahim Salame: **Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis les périodes Memelouks jusqu'a nos jours.**
— Levi - Provençal, E. : **Histoire de l'Espagne Musulmane** - Paris Leyde. Maison neuve et Cie - E.J. Brill; 1953.
- **Conférences sur l'Espagne Musulmane,** le Caire 1951.
— Mieli, A. : - **La Science Arabe,** Leyde E.J. Brill 1938.
— Payot Jules : - **La Faillite de l'Enseignement** - Paris 1937.



المحتوى